

رُؤْيَاةُ الْأَرْبَعِينَ

دراسة في انثروبولوجيا الدين والمجتمع



عدي عدنان البلداوي

رُؤْيَاةُ الْأَرْبَعَيْنِ

دراسة في انثروبولوجيا الدين والمجتمع

عدي عدنان البلداوي



الموضوع : زيارة الاربعين دراسة في انثروبولوجيا الدين والمجتمع

المؤلف : عدي عدنان البلداوي

سنة الطبع : 2026م - بغداد

جهة الطبع : مؤسسة البلداوي للطباعة

الرقم الدولي: 9 - 293 - 29 - 9922 - 978

الطبعة : الأولى

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (96) لسنة 2026م

جميع حقوق الطبع محفوظة ، ولا يجوز لأي شخص أو أي جهة أو اي مؤسسة نسخ الكتاب او اعادة طبعه أو اقتباس بعض فقراته او مضامينه بأي شكل او واسطة من وسائط نقل المعلومات ، الكترونية كانت او ميكانيكية بدون إذن خطي من المؤلف .

عدي عدنان البلداوي

زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ

دراسة في أنثروبولوجيا الدين والمجتمع

ب 842 البلداوي ، عدي عدنان

زيارة الأربعين: دراسة في انثروبولوجيا الدين والمجتمع

عدي عدنان البلداوي . ط 1 – بغداد : مؤسسة البلداوي 2026

(225) صفحة ، () سم

1- الانثروبولوجيا الاجتماعية

2 – زيارة الأربعين

- أ – العنوان

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (96) لسنة 2026

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

مقدمة

حصلت واقعة الطف في القرن الهجري الاول ، ونحن اليوم في القرن الخامس عشر للهجرة . هذا يعني ان بيننا وبين واقعة الطف ، بيننا وبين الإمام الحسين عليه السلام اربعة عشر قرناً . خلال هذه المدة الزمنية الطويلة جداً حدثت اشياء كثيرة وتغيرت كثير من تفاصيل الحياة في كل العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً . فاذا كانت حياة القرن الأول للهجرة قد احتاجت الى الإصلاح ، فإن حياتنا اليوم في القرن الخامس عشر الهجري هي ايضاً بحاجة الى الإصلاح .. فنحن اليوم بحاجة الى إعادة بناء الزمن ، وبحاجة الى تغيير النفوس على الرغم

من إختلاف ظروف حياة القرن الهجري الأول عن
حياتنا اليوم .

من يوم العاشر من محرّم في القرن الهجري الأول
والى يومنا هذا تصلنا رسائل الحسين عليه السلام
وأهل بيته وأنصاره عبر التاريخ الذي أراه أدّى دوره
في توثيق وحفظ الأحداث ونقلها إلينا.

كما أرى إن الأدب في فنونه المتنوعة قد أدّى دوره
في وصف أحداث النهضة الحسينية وشخصها
والتعبير عنها شعراً ونثراً وبلاغة وإعلاماً . فكتب
التاريخ وكتب الأدب حافلة بكثير من الإسهامات
القيمة لكتّاب وشعراء وأدباء ومؤرخين من مختلف
الثقافات والإتجاهات والمعتقدات ، جمعهم حول
الحسين البعد الإنساني للنهضة ، ورأيت كباحث في

علم الإنسان أن انظر إلى أحداث تلك الواقعة بعيون الواقع الذي نعيشه اليوم وأتساءل : هل هذا كل ما نريده من ثقافتنا كمسلمين بحق الحسين عليه السلام وتلك النهضة العظيمة وذلك اليوم الموعود ؟

بماذا يؤثر التغير التكنولوجي الذي نعيشه على علاقتنا بالقضية الحسينية ؟

هل يمكن لتقنية الذكاء الاصطناعي أن تتدخل في طريقة إعتقادنا وتفكيرنا بالقضية الحسينية ؟ كيف ؟

حاجتنا المتواصلة للتقنية الرقمية في حياتنا اليومية، هل يحوّل علاقتنا بالحسين عليه السلام من وعي النهضة وعمق التفكير بها ، الى مجرد طقوس شعبية تمارس على مدى أربعين يوماً فقط من كل

عام ؟ هذه وغيرها من الإستفهامات التي تحاول اوراق هذا الكتاب ان تتوافر على اجابات مقنعة لها من خلال واقع الحال في سياق الفهم الانثروبولوجي للثقافة بغية الوصول الى نتائج تخدم تحديث وتطوير الواقع والنهوض به الى ما ينبغي ان يكون عليه في عصر التطور التقني الرقمي الذكي .

عدي عدنان البلداوي

بغداد / تموز 2025

الفصل الأول

إنثروبولوجيا واقعة الطف



الانثروبولوجيا

الإنثروبولوجيا (علم الإنسان) : علم يَعْنِي بدراسة كل ما له علاقة بطبيعة المجتمع البشري .

من حيث الإصطلاح ، فهو من أصل يوناني لكلمة من مقطعين: علم ، وانسان . لذا فهو علم الإنسان .. وهو علمٌ قديمٌ حديثٌ .. قديمٌ من حيث إنصاف المعاصرين المشتغلين في هذا المجال لجهود الأقدمين ، فقد اطلق لقب "ابو الانثروبولوجيا" على (هيرودوتس "ابو التاريخ") ، وأطلق لقب "هيرودوتس العرب" على (أبي الحسن المسعودي) صاحب كتاب (مروج الذهب) وذلك تقديراً لجهودهما في وصف طبيعة المجتمعات التي ارّخوا لها ..

يرى المؤرخون إن قدم علم الإنثروبولوجيا يعود الى بدايات تأمل الإنسان بطبيعة المجتمع ، فهو اقدم العلوم.

وهو علم حديث من حيث دخوله الجامعة ، فقد عيّن (السير إدوارد تاييلور) كأول استاذ للانثروبولوجيا في جامعة اكسفورد عام 1884م.

وكان (مستر هادن) اول استاذ للانثروبولوجيا في جامعة كامبردج، سنة 1900م ..

يرى المؤرخون ان افضل تاريخ حديث لعلم الإنسان هو في نهاية أو منتصف القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ، حيث ظهرت المدارس

المتخصصة به ، وفي منتصف القرن التاسع عشر
طبعت كتب في هذا المجال.

يشتمل علم الأنثروبولوجيا على : علم الإنسان
الاجتماعي . علم الإنسان الثقافي . علم الإنسان
الحياتي . وعلم اللغة ..

يدرس علم الإنسان الاجتماعي العادات والممارسات
والسلوك . بينما يتناول علم الإنسان الثقافي ثقافات
الشعوب على اختلاف الزمان والمكان ودورها
وظائفها الاجتماعية .

علم اللغة يُعنى بتأثير اللغة على الحياة الاجتماعية.
ويدرس علم الانسان الحياتي منظومة جسم الانسان
البايولوجية ..

واقعة الطف

تفيد الدراسات الأنثروبولوجية والدراسات الطبية في مجال الأعصاب ، ان الأشخاص لا يختلفون في الإمكانيات والقدرات ، وإنما يختلفون في الظروف التي تمرّ بكل واحد منهم ، وفي المقدار الذي تؤثر فيه هذه الظروف بأحدهم ، أو يتأثر بها .

فإذا كان السيف في القرن الهجري الأول هو أداة القتال الرئيسية ، قد صار سلاحاً فتاكاً اليوم ، وتحوّلت ساحة المعركة من المواجهة المباشرة ، الى معارك تدار عن بعد ، وجيوش الكترونية وطائرات مسيرة وغيرها .. حتى في مجالات الحياة المدنية ، فبعد ان كانت الرسائل وسائل التواصل الوحيدة التي تعتمد

الدواب وسيلة نقل ، وكانت تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم ايصالها ، فإنها اليوم اصبحت متاحة بكبسة زر عبر جهاز تقني متطور متصل بشبكة عالمية كالموبايل .

مع كل هذه الاختلافات في الأدوات ، فإن روح النهضة الحسينية لا تزال موجودة ، ونحن اليوم بحاجة ماسة الى روح هذه النهضة لإصلاح واقعنا المنهك والمثقل بكثير من المشاكل والإشكاليات . فكيف نستحضر تلك الروح في عالمنا المعاصر ؟ . يحتاج الأمر الى نهضة ثقافية تتم عن طريق توسيع مساحة عمل الثقافة الى ابعد من حدود الإبداع الأدبي والإبداع الفني .. الى مساحة تصل الى طريقة حياة

الناس ، وهذا في تصوري ممكن الحدوث عن طريق علم الإنسان (الانثروبولوجيا).

ما حاجتنا الى نهضة ثقافية ؟

نحن اليوم في القرن الواحد والعشرين - القرن الخامس عشر الهجري - وهو عصر التطور العلمي والتقني المتسارع ، ومشاريع الذكاء الاصطناعي ، وهو عصر مُصادرٌ بالكامل لصالح الدول الأكثر تطوراً في مجال العلم والصناعة . عصر مُصادرٌ بالكامل لصالح الشركات المنتجة لتلك التقنية والبرامجيات المتطورة وتطبيقات الذكاء الاصطناعي ، ومُصادرٌ بالكامل لصالح النظام

العالمي الذي يمول بملايين الدولارات سنويا مشاريع الذكاء الاصطناعي حول العالم .

هذا الواقع يفرض على عالمنا الإسلامي والعربي المعاصر بشكل او بآخر أنماطاً من التبعية العلمية، والتغريب الثقافي ، والإستهلاك الإقتصادي . فلكي نحافظ على مجتمعاتنا من ان تتحوّل الى مجتمعات مستهلكة لمخرجات التطور الصناعي ، ثم تتحوّل بمرور الوقت الى مجتمعات مستهلكة - بفتح اللام - ولكي نحافظ على ذلك الموروث الثقافي الإبداعي الأدبي والفني الذي اثرى المكتبة العربية على مدى قرون من الزمن وهو يحفظ لنا عشرات القصائد المعبرة عن عمق مأساة ما حصل يوم العاشر من شهر محرّم ، ومئات الدواوين الشعرية التي سطرّت

ملاحم لغوية وبلاغية بالغة التأثير في الوجدان
الإنساني ، ومئات الكتب التي وثّقت أحداث ذلك
الفصل التاريخي المروّع في عمر البشرية ..

لكي نحافظ على النهضة الحسينية من أن تتحوّل الى
مجرّد طقوس نمارسها كل عام تندرج ضمن تراث
الشعوب التي يكفل النظام العالمي ممارستها بدون
منع أو قمع ، فإننا بحاجة الى نهضة ثقافية على
مستوى الاصلاح التدريجي في منظومة المجتمع
وصولاً الى تمكين المجتمع ثقافياً .

هل تسهم زيارة الاربعين في قيام نهضة ثقافية معاصرة ؟

منذ بداية القرن الواحد والعشرين ظهرت دعوات هنا وهناك لفصل الدين عن الدولة في العالم العربي ، بدعوى ان الدين في عصر التفوق التقني وتطبيقات الذكاء الاصطناعي ، لم يعد قادراً على تحريك الحياة ومنحها حيوية التطور ، وانه - اي الدين - اصبح تراثاً مقدساً مهماً نعتز به ونحترم الذين يلتزمون به ونحترم طقوسهم ، على ان لا يتدخل الدين في الحياة المعاصرة ، وان يتحول الى شأن فردي . هكذا دعوات لها منطلقات عديدة ، منها ان الداعين اليها ارادوا أن يقدّموا حلاً و اقترحات تُخرج المجتمع من واقعه المتراجع ، وتوفر حلاً مناسباً لمشاكله المتفاقمة ، فجاءت فكرة فصل الدين عن الدولة . اعتقد ان فكرة فصل الدين عن الدولة في العالم

العربي والاسلامي المعاصر يمكن ان تغرقه اكثر مما يمكن ان تتقذه ، ظناً منّي ان المشكلة ليست في الدين أو في السياسة ، وإنما في الثقافة الدينية ، وفي الثقافة السياسية . فالدين بلا ثقافة لن يتمكن ابداً من طوي صفحة الطائفية .. وبدون وجود ثقافة في العملية السياسية ، لن تتمكن السلطة الحاكمة من اغلاق ملف المحسوبية والانانية.

اننا نفتقر في ثقافتنا العربية الى خطط مستقبلية ، فنحن لا نملك معطيات واقعية من طبيعة حياة الناس تمكننا من إطلاق توقعات لمشاهد حياة المستقبل ، مثلما تفعل أبحاث التطور العلمي والتقني التي تذهب الى ان العلم ماضٍ في طريق تمكين الآلة بتطبيقات ذكية ستفوق قدرة الف دماغ بشري في حدود عام 2050 ، وانه سيتعذر التمييز بين الانسان

والحاسوب في عام 2099م . تذهب توقعات في مجال الذكاء الاصطناعي الى ان تطبيقات حديثة مثل Chat GPT يجري تطويرها لتتمكن في 2030م من تزييف 90% من الفيديوهات المنشورة على شبكة الانترنت . إذا اخذنا بنظر الإعتبار ان غالبية مستخدمي شبكة الاتصالات الالكترونية (الإنترنت) يفضلون المشاهدة والسماع على القراءة ، وان الشباب يعتمدون على الانترنت كمصدر وحيد لمعلوماتهم ، فإننا نصبح امام خطر يتهدّد مستقبل ثقافتنا وتراث امّتنا وديننا ، فالنظام العالمي الجديد يمضي في طريق انتاج مشروع ثقافي عالمي يصبّ لصالح عالم الأرقام ، عالم المال والاعمال ، عالم تنصهر فيه كل الثقافات في قالب واحد أعدّته مصالح

القوى الكبرى التي تمتلك التكنولوجيا بما يكفل لمشاريعها الإقتصادية والصناعية إستمرارية لا تتوقف ، تصب في زيادة ثراء الشركات الكبرى مع فرص بالثراء تتيحها للآخرين أياً كانت قومياتهم وثقافتهم واديانهم ، المهم انها فرص لا تتيح لأحد ان يتفوق على صنّاع القرار وممولي انتاج التقنية الذكية المتطورة وحكّام العالم ، حتى وان كانت تلك القوى وتلك الأموال لا تكثرث لإنسان يموت على يد متطرفين ، وطفل يموت جوعاً، وامرأة تبيت مشردة في العراء بسبب الحرب، وشيخ يللم شيبته في مخيمات النازحين ويرجو مية تخفف عنه هوانه الذي فرضته سياسات الدول الكبرى وقوى الإحتلال

والإستعمار الحديث الذي استبدل احتلال الأرض
بإحتلال العقول ، واستبدل القوة الظالمة بقوة ناعمة.

ان رجلاً (وتراً في الخالدين) مثل الحسين عليه
السلام مات في القرن الهجري الأول ، ولا يزال
يعيش في وجدان المسلمين كل هذه السنين ، في اكثر
حدث معاصر مثير يشهده العالم في عصر التقنية
والذكاء الاصطناعي ، حيث ملايين الأشخاص يأتون
من مختلف أصقاع الأرض يمشون الى كربلاء ،
يحملون آمالهم وآلامهم ، متطلعين الى غد افضل ،
لهو افضل ملهم لنهضة ثقافية عربية إسلامية
معاصرة تخاطب العقول لتعيد بناء الزمن وتغير
النفوس ، وتحرك البحث العلمي باتجاه انتاج تقنيات

ثقافية قادرة على مواكبة تطورات وتغيرات العصر
دون مساس بجوهر الهوية الإنسانية الإسلامية .

ان لزيارة الأربعين دورٌ مهمٌ وفَعَالٌ جداً في انجاح
مشروع تمكين المجتمع ثقافياً ، إذا ما وُضِّفَتْ بشكل
صحيح من خلال التفكير العميق بطرق واساليب
تسهّل اىصال الوعي الى الزائرين في طريقهم الى
كربلاء ، لكي يتفاعل عندهم الحُبُّ العاطفي مع
الوعي الثقافي ، فتأتي النتيجة قدرةً ذاتيةً في شخص
الزائر تحثّه على تغيير واقعه وأنماط سلوكه وطريقة
تفكيره وطبيعة مزاجه لتصبح إيجابية ، فإذا تمكن
الزائر من نقد ذاته وإعادة تكوينها من جديد على وقع
خطى الإمام الحسين عليه السلام في مشوار خروجه
من المدينة الى كربلاء ، فإن المجتمع سينهض

وسيعرف كيف يبني حياته ونظامه الإجتماعي ،
عندها سيكون المجتمع قد اعطى لزيارة الأربعين
الهدف الذي اراده الإمام الحسين من صيحته في
ضحى يوم العاشر من محرم ، فتأتي صيحات
الزائرين (لبيك يا حسين) تلبية عملية لما اراده
الإمام من صيحته الخالدة ، وهذا الأمر ممكن التحقيق
عندما نوظف الدراسات الانثروبولوجية في الثقافة ،
توظيفاً يستمد مقوماته من مفهوم الإصلاح الذي نادى
به الحسين عليه السلام ، لكي لا تكون تلك الدراسات
مجرد ابحاث نظرية تضيف الى المكتبة رصيذاً قيماً
من الإنجازات ، لكنها لا تخدم حركة الواقع
والنهوض به .

مشاهدات واقعية

في ضوء الزيارة الاربعينية ، طُرحت تساؤلات فيما اذا كان ذلك الحضور الجماهير الضخم يحدث بقصد النعي أم الوعي ؟

هل في إحياء الذكرى ما يبعث الأمل ؟ أم هي مجرد جرعات روحانية تقلل من آثار الأعراض الجانبية الحادة لخراب وتلف الحياة المعاصرة ؟.

أم هي مجرد عادات شعبية إصطبغت بصبغة عقائدية فصارت جزءاً من طباع الناس..؟

كتب بعضهم منتقداً هذا التجمع البشري اللافت عالمياً فوصفه بهدر الوقت تارة ، وتارة بعرقلة حركة الحياة اليومية ، فحاول بعضهم ان ينسب الى ذلك التجمع

الجماهيري الضخم صفات سيئة بهدف التقليل من قيمته وفاعليته ، لذا أردتُ أن اعيش الواقع كما هو وادون تفاصيله كباحث في علم الإنسان ، فقررت المشاركة في إحياء الذكرى لعدّة أيام ، وهي المرّة الأولى التي أشارك فيها هذا الحدث الجماهيري الكبير وعايشه لأيام عدّة ..

بين صفوف الزائرين كنت اتمشى على مهل كي ارى تصرفاتهم واسمع أحاديثهم واقارن هذا المشهد بمشاهد حياتية اخرى يواجهها الناس في حياتهم اليومية ، فكان من بين ما سجلته هو انسيابية حركة هذه الحشود الجماهيرية الضخمة . فعلى مدى اربعة أيام قضيتها لمعايشة هذا المهرجان العظيم لم أر حالة ازدحام واحدة ، ولم أر شخصاً يسقط أرضاً بسبب

التدافع ، ولم تقع عيني على حالة إزعاج أو مضايقة على الرغم من ان الطريق واحدة يمشي فيها الرجال والنساء، الشباب والصغار معاً.. بدا لي اكثرهم كأن الكل معني بالكل .

شاهدت طوابير الزائرين منظمة غير مفتعلة وهم ينتظرون التزوّد بالطعام في مواكب العزاء ، للرجال مكان وللنساء مكان ، دون ان يكون بينهم من يصيح بهذا وينهر ذاك ، فالكل ملتزم بالنظام .

تذكرت التدافع والإزدحام في دوائر الدولة ، فبدا لي ان وراء ذلك شعور ذاتي عند المواطن ، وهو ان الحكومة لا تكثرث لحاله ولا تسعى لتحقيق حاجاته بل هي تغبنه وتهمله في اكثر الأحيان ، ان لم يكن في كلها ، لذلك يتدافع الناس في مؤسساتها محاولة

منهم بالظفر بما يمكنهم من إنجاز معاملة وتحاشي ضياعها أو إهمالها أو تأخير إنجازها .

سجّلت في ذاكرتي حوارات عدّة سمعتها من زائرين، منها شبابٌ يتبادلون الأمل في أن تحلّ بركة هذه الزيارة عليهم فيشهدون في الأيام القادمة تغييراً يطال الفاسدين والفاشليين في مواقع القرار في السلطة كي تتغير احوالهم فيجدون فرصهم التي جاءوا يطلبون من الله بزيارتهم للإمام ان يزيدهم صبراً على ما يمرّ بهم من ضجر واستياء ..

سيّدَةٌ ترجو الله ببركة الإمام ان يسترها في أواخر عمرها بحفظ أولادها من هذا الزمن المشوّه الذي تتشددّ فيه حكومة الفاشليين مع مرتكبي الأخطاء الصغيرة وتلين مع مرتكبي الجرائم الكبيرة ..

مؤسسات الدولة هي حلقة الاتصال الحي المباشر بين الحكومة والناس ، عدا ذلك فالمسؤول الحكومي إما محصن بدروع بشرية مسلحة ، أو دروع اسمنتية مسلحة ، لذا ومن باب البحث في إصلاح حال البلاد السيئ اتمنى ان تلتفت الحكومة الى الاعتناء بحلقة الاتصال هذه ، اعني دوائر الدولة ، بالقضاء على الروتين السيئ ، وإقصاء الموظف السيئ لإظهار وجه الحكومة الحقيقي بعيداً عن الخطابات واللقاءات المعدّة سلفاً ، التي هدفها إظهار حرص وامانة وسلامة رجل الدولة..

كان رجال الأمن وهم يحملون السلاح في حالة تعاون إنساني مع الزائرين يدعو الى الزهو، فمن المهم جداً في تصوري ان تعيش قوات الأمن اعتقاداً قوياً

راسخاً بأنهم ابناء المجتمع وليسوا أتباع السلطة
فالتجربة افادت على مر التاريخ بزوال السلطة وبقاء
المجتمع ..

توصيات

كان حضور رجل الدين واضحاً من خلال مكاتب
الإستفتاءات الشرعية هنا وهناك على طول طريق
الزائرين .. كنت اتمنى لرجل الدين دوراً أكثر تنوعاً،
فقد رجوت ان أجد مُعمّماً يحمل مكبرة صوت يمشي
بين الزائرين يذكّرهم بقيمة هذه الخطوات التي
يخطونها صوب الإمام ، التي لا يكتمل اجرها دون
الحفاظ على آداب الطريق وعلى نظافة الطريق حتى
لو لم توفر دائرة البلدية ما يكفي من سلات جمع

القمامة . كما تمنيت ان ارى مُعَمَّمًا يرفع ما يرميه الزائر من فضلات على الارض ، ففي هذا السلوك درس بليغ يبلغ مستوى الدرس العظيم الذي جسده المُعَمَّم وهو يحمل السلاح مع المقاتلين على السواتر في حرب الدواعش ، فكلاهما جهاد .. هذا جهاد ضد أعداء الوطن ، وذاك جهاد ضد المقصرين في خدمة المواطن ..

كما تمنيت أن يكون لرجل العلم ورجل الثقافة حضور واضح ، فكل المواكب التي شاهدها كانت جماهيرية ، عفوية ، فطرية ، تقليدية .. فلو أسست الثقافة لها مواكب يتحدث فيها رجل الثقافة الى الزائرين عن آثار المدرسة الثقافية والتربوية والإجتماعية للإمام الحسين وربطها بواقع حال الناس

فسيكون لذلك أثره ودوره في مشروع تمكين المجتمع ثقافياً .. وإنشاء مواكب من حملة الشهادات العليا ، يمشون بين الناس ، يرفعون شعارات وحكم وأقوال منها قول النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الذي يذكره اليعقوبي في تاريخه:

" الدنيا حلوة خضرة والله مستعملكم فيها فانظروا كيف تعملون " . وقوله : " ايها الناس انما هما نجدان: نجد خير ونجد شر ، فلا يكونن نجد الشر أحب الى احدكم من نجد الخير " .

وقول الإمام علي عليه السلام :

" يا معشر الفتيان حصنوا اعراضكم بالادب ، ودينكم بالعلم " .

بالإضافة الى العمل على إيجاد تنسيق مشترك بين عمل المنبر الحسيني والمجلس الثقافي ، ينتج عنه فسح المجال للمثقف الواعي لإلقاء محاضرة على المنبر الحسيني ، كما تفسح المجالس الثقافية للمعمم الواعي المجال ليحاضر فيها .

كما نرجو ان يُصار الى دعوة اصحاب الاختصاص في اللغة العربية الى المشاركة في قراءة القرآن في المسجد قبل الأذان ، وقراءة الأدعية للحدّ من شيوع تراجع حضور اللغة العربية على السنة بعض المتولّين في المساجد والمواكب ممن لا يجيدون اللغة اجادة سليمة من حيث قواعدها .

بمقدور بعض المؤسسات الثقافية إقامة ورش ومعارض أدبية وفنية تخاطب مستويات الزائرين المتنوعة أدبياً وفنياً ونفسياً ، وتقدّم لهم هدايا ثقافية أسوة بالخدمات التي تشتهر في الزيارة الأربعينية كالطعام والمنام والسلام وغيرها ..

إيجاد صياغة ثقافية دينية تمنح ذكرى الشهيد حضورها الواقعي في حركة الحياة ، وليس مجرد استذكار من باب الترحّم على ارواحهم ، وكسب الثواب ونيل الشفاعة . فالإمام الحسين لم يستشهد لنحيي ذكرى استشهاده بين الأول من محرم الى يوم الأربعين ، ثم نعود الى المناخ الاجتماعي الذي نعيشه بكل ما يمكن ان يكون فيه من تلوث ومن شوائب واططار . لقد استشهد الحسين عليه السلام يوم

العاشر من محرّم لكي يستمر وجوده بيننا على إمتداد الزمن . وجوداً معطاءً يطوّر حياتنا ولا يجعلها رهينة شعائر محددة بزمان ومكان ، بينما تكثر مشاكل المجتمع عاماً بعد عام ، وتتعدد ظروف الحياة، فلا يكاد الزائر يجد وقتاً للتفكير والتأمل والقراءة والنقد ومحاسبة الذات .

فضلاً عن أهمية ان تكون هناك مواكب للكتب المتنوعة والمنشورات في طريق الزائرين ، تقدّم الكتاب هدية بثواب الإمام ، على ان تتنوع مجالات الكتب بين أدبية وفنية وتاريخية ودينية وإنسانية ونفسية وفلسفية وعلمية .. فبالتنوع لا يعود الزائر يشعر أنه في مناسبة دينية فقط ، وانما يشعر انه

يمارس حياته الإعتيادية التي تأتي الزيارة الاربعينية من بين ضروراتها الحيوية المهمة .

توسيع دائرة عمل المؤسسات الدينية والثقافية بعد انقضاء زيارة يوم الأربعين والحث على التفكير بسبل وطرق مبتكرة وحديثة تقرب المسافة بين الثقافة الشعبية لعموم الناس وبين ثقافة النخبة للكُتّاب والمثقفين والمؤلفين والأكاديميين والمُعَمِّمين ، كإقامة إتفاق مع شركات السياحة الدينية على ان يتضمن برنامج عملهم دعوات مجانية مشفوعة بامتيازات وهدايا يتم من خلالها تقديم وصفة ثقافية لمشاكل الحياة الإجتماعية على يد مختصين في مجالات العلم والدين ، فالدين لا يتقاطع مع العلم ، كما ان العلم لا يتعارض مع الدين ، وفي قول النبي الخاتم صلى الله

عليه وآله القول الفصل : (اطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم) .

ان يُعهد الى المختصين في مجال الذكاء الاصطناعي من اصحاب الوعي الحسيني ، اعداد برامج وتطبيقات الكترونية تربط علاقة حياة الزائر اليومية ببيوم الأربعين ارتباطاً لا يقف عند حدود الواجب الديني والانتماء المذهبي ، والولاء العقائدي ، والتوقيت الزمني للشعائر ، والعرف الاجتماعي ، وحاجة كثيرين الى التبرك بالزيارة طلباً للعافية ، والزوجة الصالحة ، والزوج الأمين ، والمسكن اللائق ، والمورد المالي الكافي .. ينبغي ان يصار الى انشاء تطبيقات الكترونية قادرة على اصال رسالة حيوية للزائرين تحملهم على التفكير بشؤون

حياتهم من منطلق حسيني يقوم على تغيير الواقع
السيء ، والظرف الحرج ، والحالة المتعبة ،
والسلوك الشاذ ، والتفكير المتطرف ، وغلبة الانا
على العقل ، وغلبة حديث النفس على حديث
الضمير..

الفصل الثاني

النهضة الحسينية وضرورة صناعة الوعي

٢

مفهوم الثقافة

قبل الإسترسال في البحث أقف عند مفهوم الثقافة الذي يحتمل تعريفات عدّة ، فأقول إن الثقافة التي اعنيها هي وعي الواقع . وهي فهم حركة الحياة في هذا الواقع . وهي دراسة الطريقة التي يعيش بها الناس ، فهي تصل الى حدود الوعي الإنساني .. يتحقق هذا المفهوم الثقافي من خلال معايشة واقع حياة الناس وتدوين احداث ذلك الواقع والعمل على معالجة مشاكله. لذلك أرى إن صناعة الوعي هي الرسالة الحسينية المعاصرة التي علينا أن نقرأها ونشتغل عليها اليوم خصوصاً في المرحلة التي يمرّ فيها المجتمع بثنائية التغيير والثبات ..

التغيير والثبات

يرى علماء الاجتماع وعلماء الإنسان ان التغيير صفة طبيعية في كل مجتمع ، لا يختلف مجتمع عن آخر في التغيير ، إنما الاختلاف في درجات التغيير، فنحن كمجتمع إسلامي نرجو من عملية التغيير الإرتقاء بمنظومة الفرد والمجتمع وتطويرها ثقافياً وإقتصادياً وإجتماعياً وعمرانياً في إطار المشروع الإسلامي الثقافي الحضاري ، وهنا أتساءل ما هو تقييمنا لحركة التغيير في المجتمع اليوم ؟

هل تتم في إطار المشروع الإسلامي الثقافي الحضاري الانساني ؟

الأمر الثاني هو الثبات على القيم والمثل العليا التي لا تتضح معالم شخصية المسلم بعيداً عنها والتي توافق عليها العرف الإجتماعي والدين، فصارت جزءاً أصيلاً في ذات الشخص ، فهل يتفق الثبات مع التغيير الحاصل في المجتمع ؟

بين النهضة والثورة

النهضة في علم الاجتماع هي التجديد في مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

وفي الفلسفة ، تعني النهضة الإنتقال من مرحلة الركود الى مرحلة اليقظة ووعي الذات..

وفي السياسة تعني النهضة ، الإصلاح التدريجي في منظومة المجتمع ، اصلاحاً يستخدم العقل والتفكير ، ادواته هي التعليم والاعلام .

عنوان حركة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة الى العراق هو الإصلاح . ففي قوله "خرجتُ لطلب الإصلاح" قد حدّد الامام المساحة التي يريد ان يشتغل عليها في مشروعه الإصلاحي ، فقال "خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي" ، ولو انه عليه السلام لم يضيف كلمة (جدي) في قوله ، فانه قد يعطي إحتمال أن تكون حركته قائمة على اساس المتغيرات التي طرأت على حياة تلك الفترة التي خرج فيها .. لكن قوله (في أمة جدي) يكون قد أضفى

بعداً زمنياً الى حركته ، بالإضافة الى المساحة التي يريد ان يشغل عليها مشروعه الإصلاحى .

الثورة في رأي الفيلسوف الالمانى " هيغل " هي قفزة في التاريخ ، وان النهضة هي التي تعيد بناء الزمن.. وهذا ما قد نفهمه من قول الإمام "خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي" .

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي ان الثورات تغير الأنظمة والنهضات تغير النفوس .. وقد نجد هذا المعنى في مخاطبة الحسين عليه السلام للقوم قائلاً : ان لم يكن لكم دين فكونوا احراراً في دنياكم.

فالدين هو القوة القادرة على إحداث انتقالة في حياة الفرد من الركود الى اليقظة . وهو القوة القادرة على

حثّ الانسان على تجديد حياته . فإن لم يكن هناك دين (فكونوا احراراً في دنياكم) . لقد أراد الإمام بقوله أحراراً ، مخاطبة عقول القوم لتغيير نفوسهم من أجل تحريرها من قبضة القوة القاهرة المهيمنة على المشهد الحياتي في تلك الفترة . وقد أخبرنا التاريخ عن عدد من المقاتلين في معسكر يزيد ممن انقلبوا الى معسكر الحسين عليه السلام ، وقاتلوا معه واستشهدوا وهذا الجو يعطينا إنطباعاً لتقبل فكرة النهضة أكثر من الثورة التي هي تغيير مفاجئ وسريع.

بالإضافة الى مواطن أخرى يمكنها أن تدعم مذهبي في إطلاق إصطلاح النهضة على حركة الإمام الحسين ، فقوله (مثلي لا يبايع مثله) يعطي فهماً

لعمق القضية بأنها أكبر من موقف بين شخص الإمام وشخص يزيد .

كما ان بين قول الإمام في ليلة الطف ، وقوله في ضحى يوم الطف ، ما يكشف عن عمقٍ يستلزم منا الوقوف عنده ملياً . ففي ليلة الطف يدعو الإمام اصحابه الى ان يتخذوا من الليل جملاً لكي ينسحبوا من الساحة ، لأن الموت مقبل عليهم غداً . ثم قوله (هل من ناصر ينصرنا) في ضحى يوم الطف بعد استشهاد اكثر اصحابه . لا يفيد ذلك بأن الإمام كان يرجو من صيحته تلك ان يلتحق به عدد من المقاتلين من أجل ان تنقلب معادلة المعركة لصالحه ومن تبقى من المقاتلين معه، فإذا اخذنا في نظر الاعتبار ان أدوات الإتصال والتواصل في القرن الهجري الأول

لم تكن متطورة الى الحدّ الذي يمكنها ان تلبيّ نداء الإمام ليأتيه مدد كبير في وقت قصير ، فإنّ صيحة يوم العاشر من محرم كانت إشارة واضحة الى ان مشروع الإمام الإصلاحي هو مشروع ممتد مع الزمن ومرتببط بتطور الوعي الذاتي للفرد ، وان الوقت المحدّد للإمام والذين معه قد قارب على الانتهاء في ضحى يوم العاشر من محرم في القرن الاول للهجرة ، لذلك بعث برسائله الصوتية (هل من ناصر ينصرنا) ليتولى الزمن ايصالها عبر الأجيال كي يكملوا بوعيمهم العميق ما خرج من اجله الإمام وهو إصلاح واقع المجتمع .

ثمار الوعي الأولى

إذا أخذنا في نظر الاعتبار ان الظروف الزمانية والمكانية وعوامل البيئة تدخل طرفاً مهماً مؤثراً في جوانب الشخصية العقلية والسلوكية والعاطفية والنفسية ، إذ إنها تدفع بالإنسان إلى أحد اتجاهين :

الاتجاه الأول هو الاستسلام للواقع وقبوله بما فيه دون الأخذ في نظر الإعتبار إن كان ذلك الواقع صحيحاً أم خطأ، وما إذا كان على خط القيم والمثل العليا أم كان منحرفاً عنها .

الاتجاه الثاني هو رفض الواقع والإنقلاب عليه لتغييره الى ما ينبغي ان يكون ..

في التاريخ شواهد كثيرة على هذين الإتجاهين ، تذكر كتب التاريخ والمصادر ان الإمام الحسين كتب الى عدد من زعماء البصرة ممن كانوا على خط الإمام علي عليه السلام ، يوضّح لهم خطورة الوضع الذي يمرّ به المجتمع ويدعوهم الى نصرته والوقوف معه لتغيير ذلك الواقع ..

اختلفت درجات تفاعل الزعماء ، فمنهم من لبّى الدعوة مسرعاً وهو (عبد الله بن مسعود النهشلي) . ومنهم (الأحنف بن قيس) الذي دعا الحسين الى التريث والصبر ، ومنهم (المنذر بن جارود العبدي) الذي أمسك بيد رسول الحسين وسلّمه الى (عبيد الله بن زياد) الذي كان في حينها والياً على البصرة ، فأمر ابن زياد بقتل رسول الحسين ..

بالمقابل حفظ لنا التاريخ مواقف في الإتجاه المعاكس، فقد ذكرت المصادر ان رسول (عمر بن سعد) طلب الإذن بالدخول على الحسين عليه السلام ، فلما تمّ له ذلك ، قَبِلَ يد الإمام ورجله ، وطلب الإلتحاق بمعسكره فقاتل حتى الموت .. وكان (حبشة بن قيس) مقاتلاً في معسكر يزيد ، انقلب الى معسكر الحسين عليه السلام واستشهد في الجولة الاولى .. موقف بطولي آخر لأبي الحتوف واخيه سعد وهما من الخوارج ، لحقا بالمعركة بعد سماعهما نداء الحسين هل من ناصر ينصرنا ، فقاتلا دونه حتى قتلا ..

هؤلاء وآخرون معهم يمثلون الثمار الأولى للوعي الذي دعا اليه الحسين في نهضته والذي أراه ضرورة ملحة نحتاجها اليوم ، لذلك ادعو خطباء المنبر

الحسيني الى أن يسلطوا الأضواء على هذه الأسماء التي كثيراً ما يغيب ذكرها خلال الحديث عن أجواء وأحداث وظروف تلك الواقعة .

كيف تتم صناعة الوعي ؟

الوعي في أبسط صورته هو الإحساس بالوجود الداخلي والوجود الخارجي ، وهو اليقظة المستمرة في حياة الإنسان .

في محاضرة له ، يقول السيد محمد باقر الصدر :

" ومجرد اننا نحب الحسين ومجرد اننا نزور الإمام الحسين ومجرد اننا نبكي على الإمام الحسين مجرد اننا نمشي الى زيارة الامام الحسين كل هذا شيء

عظيم شيء جيد ممتاز ، شيء راجح لكن هذا الشيء
الراجح لا يكفي ضماناً ودليلاً لكي يثبت اننا لا نساهم
في قتل الإمام الحسين ، يجب ان نحاسب أنفسنا ،
يجب ان نعيش موقفنا بدرجة اكبر من التدبر والعمق
والإحاطة والانفتاح على كل المضاعفات
والملايسات لكي نتأكد من اننا لا نمارس من قريب
او بعيد بشكل مباشر او بشكل غير مباشر قتل الامام
الحسين عليه الصلاة والسلام"

تلك هي أجواء صناعة الوعي التي تبدأ بمرحلة
الإستفهامات : لماذا ، وكيف ، ومتى ، وأين ، وما
السبب .. تليها مرحلة البحث عن إجابات ، فقد
يقتصر بعضهم على إجابة معينة فلا يستمر في
صناعة الوعي .. المطلوب مواصلة طرح

الإستفهامات والبحث عن أجوبة ، وعن تعدد الأجوبة وتنوعها ، فمن تنوع وكثرة الإجابات تأتي مرحلة الفرز والإختيار التي تأتي عادة إنفعالية عاطفية عصبية ، وبعد فترة من المواصللة ينتقل الإنسان الى مرحلة التأمل والتفكير ، تأخذه هذه المرحلة الى مزيد من الإطلاع والبحث والقراءة التي بمواصلتها تبدأ معالم صورة الجواب والسؤال تتضح اكثر .. هكذا هي عملية صناعة الوعي التي أراها من أهم الصناعات التي علينا ان نشتغل عليها في هذه الفترة القلقة من عمر المجتمع الإنساني وهو يتعرض الى محاولات إدخاله في خطوط إنتاج مشاريع الإستثمار الإقتصادي الصناعي السياسي الثقافي وهي تسعى

الى انتاج عالم من الأشياء والأرقام تحكمه لغة رقمية
بتقنية عالية وسرعة فائقة ..

دور الحُبّ في صناعة الوعي

الحُبّ هو أول وأقوى مستلزمات نجاح صناعة
الوعي ، وهو موجود في قلوب مساحة كبيرة جداً
من الناس حول العالم بحكم تكوينهم الفطري .
وتحظى نهضة الحسين عليه السلام بنصيب وافر
من هذا الحُبّ ، وهذا واضح في مراسيم عاشوراء
وزيارة الأربعين التي نرى فيها أناساً يُكلفون أنفسهم
فوق طاقتها أحياناً من أجل أن يعبروا عن حبّهم
للقضية الحسينية ، ومن أجل أن يشاركوا في إحياء
هذه الذكرى الأليمة..

لكي لا يقتصر دورنا المعاصر في شهر محرّم على إثارة تلك المشاعر وإظهار درجة حبّنا للقضية الحسينية ، علينا أن ننمي هذا الحبّ ونوظّفه عبر صناعة الوعي ليتحول الى طاقة إيجابية كبيرة لا تنطفئ جذوتها بعد مرور وقت الذكرى .. لعلنا نلاحظ كثيراً من الناس يشاركون في مواكب العزاء لكنهم لا يجدون في أنفسهم القدرة الكافية التي ينقلبون فيها على واقعهم فيغيرونه .. أكثر الناس يتحرّكون في حياتهم تحت تأثير الظروف المحيطة بهم ، هنا تأتي أهمية صناعة الوعي في مساعدة أولئك للانتقال الى مرحلة أهم و اكبر نحن بحاجة اليها اليوم ، لأن المفاهيم التي لا زلنا نتداولها منذ القدم وحتى اليوم بدأت تأخذ تعريفات جديدة قد لا تتوافق مع التعريفات

التي عرفناها عنها ، فالحُبّ والعاطفة والعشق الحسيني تُفهم اليوم على انها مشاعر تقرّرها منظومة الجسم البيولوجية والسيكولوجية ومن حق الإنسان إبداءها وإظهارها ، ومن حقّه على الآخرين إحترامها ..

بدون الوعي الموضوعي العميق قد تتحول المقدّسات الى أماكن تراثية تندرج ضمن السياحة الدينية التي توفر لزائريها جواً من راحة النفس ، وفرصة للإطلاع على الماضي ، وللتبرك ، والتقاط الصور للذكرى . ولأن الحسين وسائر أئمة أهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام قدّموا من العطاء ما يجعلنا أمام مسؤولية ثقافية تحرّكنا لرفض النظر اليهم في حدود الزمان والمكان الذي بذلوا فيه ذلك العطاء

ويدفعنا الى تفعيل ذلك العطاء وتلك التضحية في حياتنا اليوم وفي حياة كل جيل قادم .. لذا فإن صناعة الوعي تقدّم للإنسان توازناً في جوانب شخصيته العقلية والعاطفية والسلوكية والنفسية ..

التقنية الرقمية كمصدر للمعلومات

من دواعي الحاجة الى صناعة الوعي هو دخول التقنية المتطورة على خط تزويد المستخدم بمصادر المعلومة والخبر . هنا يواجه الإنسان حيرة في الإطمئنان الى المصادر .. تقول الإحصاءات الحديثة ان الجيل الجديد ممن تتراوح أعمارهم بين 20 و30 عاماً يعتمدون إعتماً كلياً على الإنترنت في الحصول على المعلومة ، فاذا أخذنا بعين الإعتبار

ظهرت تقنية "التزييف العميق Deep Fake" التي يُخشى أن يُسهم مستقبلها في تزييف التاريخ أو تزييف جزء منه ، وتقديم حقائق مزيفة للأجيال القادمة التي ستظنها حقائق موثقة تناقلتها التقنية ، كما حصل خلال فترة جائحة كورونا عندما روجت بعض وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت لوجود مصادر وكتب قديمة ذكرت مرور البشرية بالبواء وجاءت على ذكر أسماء لمصادر ولمؤلفين اتضح أنها وهمية لا وجود لها . إذا اخذنا في نظر الاعتبار أيضاً آراء خبراء ومختصين في التقنية الحديثة قولهم أن ما يُخشى عليه في المستقبل هو أنه لن يكون بوسع الشخص التمييز بين ما هو حقيقي وما هو وهمي مما تعرضه له هذه التقنية ، فقد تجد أجيال المستقبل في

المصادر الالكترونية معلومات مغلوطة عن واقع
النهضة الحسينية ..

الحسين عليه السلام بين الأمس واليوم

من الأمور المهمة التي ينبغي اخذها بعين الاعتبار هي ان الحسين عليه السلام اليوم اصبح انتصاراً لا يحتمل الهزيمة ، بعد ان كان بالأمس انتصاراً من الممكن إحتمال هزيمته ، على ذلك عملت القوة في المعسكر المعادي بكل جهدها لمنع الوعي الذي أراده الحسين في نهضته من أن يصل الى الناس وينتشر بينهم ، لأنها كانت نهضة شاملة لتصحيح الأخطاء من ظلم السلطة ، ومن تشويه فكري ، ومن تحريف عقائدي ، ومن تلويث أخلاقي ، ومن تغريب ثقافي .

كثيرة هي الثورات التي دونتها كتب التاريخ ، لكنها لم تصل الى ما وصلت اليه نهضة الحسين عليه السلام من نتائج ، ولا اظنني ابتعد عن الصواب اذا قلت إن أغلب الثورات في العالم العربي والإسلامي قد فشلت أو انها حكمت على نفسها بالفشل بعد وصولها الى السلطة بسبب إعتقاد القائمين عليها على طريقة التفكير القديمة التي ثاروا بها على السلطة ، فكانت ثوراتهم عبارة عن تغيير في الوجوه والمناصب . لذا اعتقد ان صناعة الوعي ستتتيح المجال لإعادة تفعيل البعد الثقافي كخطوة سابقة اساسية وكقاعدة تقوم عليها ثنائية التغيير في السياسة والاقتصاد.

الفهم المعاصر للسلطة

مفهوم السلطة اليوم لم يعد كما هو بالأمس ، فقد كان الحاكم والخليفة يمثل الدين والسياسة ، كونه خليفة الله في الارض ، فكانت السلطة تمثل التفكير والتقرير. فعندما صدر عن حكومة يزيد ما يُقَبَّح وجه الدين والسياسة ويصادر كل فكرة خارج مصانعها ، اقتضت المرحلة مواجهتها منعاً للتلوث والتشويش الذي يمكن أن يطل المجتمع جرّاء ذلك الانحراف. خصوصاً وان ذلك الانحراف قد حصل بعد وقت قصير على وفاة نبي الأمة بحوالي خمسين سنة .. اما مفهوم السلطة اليوم فصار يعني اشتغال الحكومات بالسياسة والإدارة ، فهي معنية بتوفير الحماية لزائري الإمام الحسين ، وإقامة مواكب

العزاء ، وتأمين طريق (ياحسين) ، وتقيم مجلس عزاء يوم العاشر من محرم. لكن مع كل ذلك لا يزال الناس غير متمكنين ثقافياً ، يعيشون شعوراً بالتهميش والإهمال والفقر والظلم .. يتطلعون الى نهضة حسينية معاصرة تأخذ بأيديهم الى ما ينبغي ان تكون عليه حياتهم في ظل وعي معاصر لمفاهيم التضحية والشهادة.

لا اظنني ابتعد عن الصواب اذا قلت ان الباحث الانثروبولوجي المراقب لمشهد الحياة في المجتمع العراقي خصوصاً والعالمي أجمع طيلة اكثر من عقدين من الزمن منذ بداية القرن الحادي والعشرين سيلحظ ان هناك مشاريع تحول دون توفر شروط ثقافية ودينية وسياسية واقتصادية آمنة ، وهذا ما

يحفز فينا المضي في مشروع صناعة الوعي في المجتمع لإعادة توفير هذه الشروط الآمنة ..

لقد تغيرت المعادلة ولم تعد "لا" التي اطلقها الحسين عليه السلام بوجه فسق يزيد تُفهم بالطريقة ذاتها . فالיום يكفل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حرية إبداء الرأي والمعتقد ، ونشر الأفكار وبالطريقة التي يراها دون قيود أو ضوابط .. ما دام الوضع الإنساني عالميا لا يزال مصدر قلق ، فإن صناعة الوعي تكفل فهماً جديداً لهذه المتغيرات بأن مشاريع جديدة يُراد لها ان تمرّ على الناس دون ان تترك إنطباعات سيئاً فيهم يمكن ان يحفّزهم لمواجهة الوضع القائم .. لقد صار من حق كل مواطن ان يقول "لا" وان يمتنع

عن التصويت في الإنتخابات ، لكن قد لا يعيق رفضه وصول الفاشلين الى السلطة .

الحاجة الى التجديد في الخطاب الديني

ادّى المنبر الحسيني دوراً بالغ الأهمية في فترة كان محضوراً فيها على الناس صناعة الوعي ، لذا اعتمد المنبر على المادة الأساسية لصناعة الوعي وهي الحُبّ والعاطفة ، وعمل على تحديثها باستمرار لكي تكون جاهزة وقت الطلب لإنجاح مشروع صناعة الوعي . لذلك ينبغي على المنبر ان لا يقف عند مرحلة النعي ، بل عليه ان يتحرك بخطابه للوصول الى مرحلة الوعي ، يتم ذلك عن طريق تدريب المتلقي على إثارة الإستفهامات ودعوته الى التفكير

أكثر من مجرد عرض الأخبار والروايات لمجرد عرضها مع بعض الإنتقادات المتعلقة بالواقع والتي لا تتحرك بالمتلقي الى مستوى تفعيله للنقد الذاتي ومراجعة ومحاسبة النفس وإعادة تأهيلها من جديد ..

بين المجلس الحسيني والمجلس الثقافي

مشروع صناعة الوعي الذي ادعو اليه يحتاج الى قوتين عمليتين لهما حضورهما في الشارع : قوة المنبر ، وقوة المجلس الثقافي . لاعادة تنظيم هيكله البناء الاجتماعي ليكون ملائماً لبيئة واعية واعدة تنهض بالواقع .

هناك قوتان تقفان وراء حراك الحياة الاجتماعية : قوة الدين ، وقوة العلم . قد تبدو قوة العلم غالبية على

قوة الدين في مساحة كبيرة من العالم ، ولأننا نعيش في قرية كونية ، فالتأثر بالمحيط العالمي أمر وارد، لذا فإننا بصناعة الوعي نتمكن من إعادة تفعيل قول النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم الذي ذكرناه : " اطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم"

الثقافة والوعي

بدون الوعي تصبح الثقافة ويصبح التعلم نشاطاً شخصياً ، لذا فإن حاجة واقعنا اليوم الى الوعي الجمعي هي حاجة ملحة ، لأنه على الرغم من ان العالم العربي والإسلامي اليوم يتوافر على عدد كبير من العلماء والكتّاب والمفكرين والفلاسفة ، الا انه لا

يشهد حالة من المعافاة. لذا فإن الوعي يسهم في التشجيع على اشاعة الهوية الجمعية وهذا هو شكل النهضة الحسينية المرتقبة . العمل الجماعي يحتاج الى وعي جماعي . والوعي الجماعي يحتاج الى فكرة عظيمة . والفكرة العظيمة تحتاج الى تجربة عظيمة . والتجربة العظيمة تحتاج الى بطل حقيقي يعطيها حقها من العظمة . والبطل الحقيقي لا بد له من جذور عميقة في البنية الإنسانية الإيمانية . والحسين عليه السلام خير من ينطبق عليه ذلك . وواقعة الطف خير تجربة لأعظم فكرة هي فكرة الإصلاح ، ولولا قصور الوعي الجمعي في ذلك الوقت لما آلت اليه الأمور الى ما آلت اليه ، وهذا ما

نرجو إيقاظه في ضمير الفرد والمجتمع بعد مرور
أكثر من ألف عام .

يقول الفيلسوف الفرنسي فيليب فينيكس (فلكي يكون
الفرد انساناً يجب ان يكون ذا قدرة على توسيع ميدان
ادراكه وراء كل الحدود المباشرة التي وضعها
الزمان والمكان وذلك عن طريق الذكاء والخيال
الخالق ، فالرجل الحر الذي يتبع العقل ويسمو بذاته
لا يرث فقط بيئة يتكيف معها ولكنه يتصور عالماً
جديداً ويبدأ في خلقه ويستطيع ان يقوم بذلك في كل
مظاهر النشاط الثقافي بما في ذلك مهنته).

رسالتنا الثقافية

هدف رسالتنا الثقافية هو حماية بسطاء الناس ممن اضطرتهم ظروف الواقع الحياتي الجديد الى استخدام التقنية المتطورة وهم يجهلون الأضرار التي يمكن ان تلحق بهم جرّاء حاجتهم الضرورية الى استخدامها ، لذلك يأتي دور صناعة الوعي في حماية هؤلاء من أن يطالهم الابتزاز الإلكتروني وغسيل الأدمغة ، وتشويه الأفكار ، وإحتلال العقول. كما تهدف رسالتنا الثقافية الى توضيح صور المشاهد الحياتية لواقع الناس من أجل توعيتهم لمنعهم من الإنخراط أكثر في مزيد من المشاكل الإجتماعية والمشاكل الشخصية كالبطالة ، والأنانية ، والتطرف الفكري ، والشذوذ الأخلاقي ، والاضطراب

السلوكي، وحالات الطلاق المتزايدة ، والإنتحار، والإدمان ، والتفكك الأسري ، والتعصب والطائفية ، والفشل الإداري ، والفساد المالي ، والعنف المجتمعي. لنا في طف كربلاء دروس بليغة اذا نجحنا في إعادة صياغتها بوعي عميق وبأدوات العصر ، فإنها كفيلة بعبورنا كل هذه المحطات والمطبات والعثرات ..

الفصل الثالث

الدين وتغير المجتمع
في القرن الواحد والعشرين

٣

تغيّر المجتمع

تغير المجتمع ، هو التحولات التي تطرأ على المجتمع ووظائفه ، وهو صفة أساسية من صفات المجتمع ، لا يختلف مجتمع عن آخر في ذلك . الا في درجة التغير ، وفي ضوء ذلك ينظر الى مجتمعاتنا العربي والاسلامية على انها مجتمعات متأخرة ، بينما حظيت مجتمعات اخرى بصفة المتقدمة .

أخذ بعض الباحثين هذا التفاوت في درجات التغير الإجتماعي ، فحللوا أسباب تأخر مجتمعاتنا بالدين ، لذا دعا بعضهم الى فصل الدين عن الدولة ، ودعا آخرون الى التدين الفردي حيث كل شخص حر في

طريقة تدينه ، وله حرية وحق اظهار ذلك الشعور
أو عدم إظهاره ، ودعا بعضهم الى إعادة تعريف
الدين وفصله عن الهوية الثقافية الاجتماعية ..

إننا نبحث في الدين من خلال علم الإجتماع الديني ،
حيث علاقة الدين بالمجتمع ، وتأثير الدين في
المجتمع ، وعلاقة الفرد بالدين ، وعلاقة الدين
بالهوية ، وبناء الذات ، وتكوين الشخصية ، ولا
نتطرق الى الدين ، من حيث هو علم فقه أو علم
كلام. وونتناول علاقة الفرد بالأسرة والأسرة
بالمجتمع ، وعلاقة المشاكل الاسرية والفردية
بطبيعة المجتمع ، وارتباط ذلك بالهوية الثقافية
للمجتمع ..

مجتمعنا مجتمع ديني من حيث الهوية الغالبة على مجالات الحياة الاجتماعية ، وطبيعة المجتمع تعبر عن ذلك من خلال تفعيلها للشعور الديني في مجالات الحياة العامة والخاصة ..

إذا كان الفلاسفة وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع يدرسون تغير المجتمع من أجل مزيد من العدالة الاجتماعية ، والرفاهية الاقتصادية ، والتوازن الاجتماعي ، فإنني في هذه الدراسة ادعو الى تسليط الأضواء على ما يترتب على التغيرات التي طرأت على مجتمعنا في العقدين الأخيرين ، حيث تعرّض المجتمع الى جملة ظغوطات وأحداث، إجتملت لتكون محلية ، وإقليمية، ودولية ، وكوارث طبيعية . فمع ما رافق منطقة الشرق الأوسط من

أحداث مضطربة جرّاء التحول السياسي والإداري ودخول مرحلة الإحتلال الأمريكي في العراق ، ثم مرحلة الإرهاب في أكثر من بلد عربي ، ومرحلة التحديث الإقتصادي ، ثم الإنكماش الإقتصادي وسوء الإدارة ، الأمر الذي القى بضلاله على مرافق الحياة الإجتماعية ، إذ ظهرت حالات التردّي والفقر والبطالة والتردّي التعليمي والتراجع الصحي وازدياد الفجوة بين السلطة والمجتمع الى الحدّ الذي أصيبت به الثقة بالأذى البليغ وتهدّدت الشخصية في توازنها واستقرارها ، واصبحت سنوات التغيير السياسي والإداري والانفتاح العالمي مدعاة للقلق ومصدراً للخوف على سلامة مستقبل المجتمعات في ظل هكذا فوضى ..

علم الانثروبولوجيا يأخذ هذه الأمور بنظرة شمولية تبدأ بمرحلة الوصف حيث يدوّن الباحث الانثروبولوجي الحدث بزمانه ومكانه وتفصيله في مرحلة يطلق عليها (اثنوغرافي) . تليها مرحلة التحليل والدراسة وهي مرحلة (الاثنولوجي) .

يمرّ الانسان خلال حياته بمراحل متنوعة تحكمها ظروف صعبة تارة ومرنة تارة اخرى ، هذه المراحل والظروف بمجموعها تكوّن عنده افكاراً يتدخل الوعي لإستخلاص الجيد منها وصياغتها على شكل تجربة ونصيحة تكون عند حاجة الآخرين انّ حاضراً أو مستقبلاً..

يختلف الشخص الواعي عن غيره في انه لا يحتاج الى المرور بتجربة جديدة كي يستخلص نفعها من

ضررها ، فوعيه يؤهله للسير في أحوال وأخبار
الماضين ما يجعله متمكناً من قراءة واقعه على وفق
ذلك الرصيد من خبرة الأقدمين ، فنسمع عن فلان
انه توقع ان عاقبة هذا الأمر هي كذا ، ثم يصادق
الواقع على توقعاته ، هذا ما يسمونه الحدس أو قراءة
ما بين السطور، وبلسان العوام هو من (اهل
الكرامة)، لأنه (يعرف صفو ذلك من كدره ونفعه من
ضرره) وهي النتيجة التي استفادها الإمام علي عليه
السلام من اطلاعه على أخبار السلف إطلاعاً وجد
معه أنه كأحدهم ، هذا النمط المعرفي يمنح الحاضر
إمتداداً يتخطى به الأمس ، فلا يكون نسخة عنه كما
هو حاله عند كثيرين ممن لا يتعلمون من تجربة حتى
يقعوا فيها وان كان هناك من سبقهم الى مثلها ، هؤلاء

من يتساوى عندهم الأمس واليوم. فمن أسباب تأخر مجتمعاتنا العربية هو ان هذه المجتمعات لا تزال غير قادرة على التوصل الى الآلية أو الطريقة أو المنهج أو التقنية التي تتجاوز بها مرحلة الغفلة . في تناولنا الانثروبولوجي لأحداث واقعة الطف بالسياق الزمني وبالوعي العميق نستطيع إكتشاف تلك الطريقة أو الآلية .

الرغبة في التغيير

لدى كثير من الناس رغبة في التغيير ، فهم يبحثون عن الطرق التي يغيّرون بها واقعهم الى الأفضل . لكن هذا الدافع وحده لا يصنع تغييراً . انه بحاجة الى

فكر التغيير ، فالطريقة الملائمة للتغيير تأتي بعد
القناعة والإيمان بضرورة التغيير..

يستجيب المجتمع عادة للتيار الأقوى الغالب على
طبيعة المشهد الحيّاتي للناس ، فمن بين التيارات التي
عصفت بالناس في عالمنا العربي الإسلامي خلال
العقدين الأخيرين ، يبرز تيار مثير دعائنا الى البحث
في هذا الموضوع ، انه تيار الإنفتاح العالمي
ومشاريع الإقتصاد الصناعي السياسي العالمي حيث
الشركات العابرة للقوميات ، والمشاريع العملاقة
التي تتجاوز اللغة والدين والجغرافية والسياسة وتتيح
لكل شخص حرية دخول السوق العالمية من أجل
التجارة والإستثمار . إنه أمر لا يدعو في ظاهره الى
القلق ، لكن في التعمق في تفاصيل هذا العالم

ستكتشف كثير من دواعي القلق وضرورة البحث .
من تلك القضايا وجود جهود عالمية لدمج المجتمعات
المتأخرة في النسيج العالمي ، ذلك النسيج الذي تقف
وراءه ثقافة غربية ، ولغة غربية عن طبيعة مجتمعنا.

الحلم الواعي

إذا امتلك الحالمون وعياً كافياً ، فإنهم سيسهمون
بشكل مميز في تغيير واقعهم وتحديثه ، وتنمية ثقافة
مجتمعهم ، فالشخص الحالم هو بشكل أو بآخر يريد
أجواءً أجمل ، أو يبحث عن أجواءٍ أجمل من تلك
التي يقدمها الواقع ، فهو يمتلك شعوراً جيداً وأفكاراً
جيدة ، لكنه يصطدم بالواقع السيء . لذا فهو يلجأ الى
التخيّل كي يضع نفسه في أجواء جيدة ومواقف

مفرحة ، فإذا تمتع الشخص بالوعي الإيجابي فسيجد نفسه مندفعاً يمتلك الحافز لتحديث الواقع وتغيير السوء فيه الى خير يتناغم مع الأحلام التي يتخيلها..

الانتقال من حالة الحرية الشخصية الى حالة الحرية المسؤولة تأتي من درجة الإشباع الداخلي المعنوي ، ودرجة الإشباع تأتي من احترام الذات وحب النفس حباً لا يقود الإنسان الى الأنانية والغرور بقدر ما يهذب تلك النفس ويشغلها بما يصلحها ويهيئها لعمل الخير على صعيد العلم والعمل والصحة والعلاقات الاجتماعية . فالحُبّ عنصر جذب لكل ما يتضمنه مفهوم الخير ، وما لم تُحب نفسك فربما لن تستطيع ان تفكر تفكيراً إيجابياً تنمو معه نفسك نمواً يثمر شخصية متوازنة لها هويتها الواضحة التي لا تقبل

نسخها أو تزيفها ، وتنطلق منها في الواقع حيث التفكير بالنجاح والسعادة والأخلاق الحميدة والعلاقات الطيبة . في الواقع اننا نقوم بمثل هكذا تصرفات وسلوكيات ايجابية ، لكن اغلب الناس يؤذيها من منطلق عاطفي انفعالي بفطرة سليمة ، وربما نندهش كثيراً لحالة شخص حلو اللسان ، يبادر الى تقديم العون ، فإذا به متقلب المزاج والمواقف، فهو في لحظة غضب ، غيره في لحظة رضا ..

يقف إفتقاد الوقت الكافي للتدبر والتفكير وراء كثير من المشاكل التي تعترض الشباب في بلداننا العربية المسلمة ، بالإضافة الى إسهام الفهم الخاطئ لإحترام الحريات في تقليل فاعلية حضور الحكمة وقت الأزمات والمواقف الصعبة ، فالأخبار التي تردنا عن

الذين كانوا قبلنا ، من خلال تداول وتبادل الأخبار ،
أو من خلال مدونات وكتب ، تفيد بتمتع العقلاء
والكبار بالحكمة التي مكنتهم من حفظ سلامة المجتمع
على الرغم من قلة مصادر المعرفة آنذاك .. يبدو ان
الحرص والنية الحسنة كانت تحمل مفهوم الحكمة في
حياة الأجيال السابقة ، بينما تعدّد وسائل المعرفة
والإطلاع واكتساب الخبرة اليوم لا تسجل حضوراً
أمام قرارات سريعة إنفعالية يتخذها بعضنا في قضايا
مصيرية مثل الزواج والطلاق والعلاقات الإجتماعية
والمواقف الجادة والأفكار الحادة .

يعيش المجتمع اليوم قصصاً كثيرة غريبة بأحداث
مثيرة ، مقلقة ، حزينة ، خطيرة .. تؤثر البيئة التي

يعيش فيها الإنسان بشكل كبير في أجواء صناعة تفكيره وسلوكه ، وقيل ان الإنسان ابن بيئته ..

هذه البيئة ليست قالباً مفروضاً أو مفروغاً منه ، انها من صنع الإنسان ، وهو قادر على التحكم بها..

لو تمكّن كل شخص من رسم صورة لحياته لها مساحة اكبر من واقعه المنهك ، تمتد الى مدى أبعد يُرسل اليها عيونه متأملاً يستلهم منها طاقة إيجابية يموّل بها رصيده المعنوي ليحافظ على توازنه ، لتكون باعثاً له للتفكير الجاد في سبل التغيير مشتركاً مع آخرين في جو جماعي كإشاعة جو الرحمة والتسامح والتعاون غير المقيد بمصلحة خاصة ، ليكون لذلك الجو دوره في إعطاء بعد مرن ، يوفر مساحة أبعد من حدود الظرف الخاص والوضع

الراهن ، ينظر من خلاله الى صورة أقل ضبابية وعتمة ، هذا في حال تعذر توفر الإمكانيات المادية الداعمة والمبادرات القوية الفاعلة لتغيير الواقع وتحديثه ، حيث تتحسن رؤية الشخص لنفسه وتتضح معالم هويته ، فمن أشد أنواع الحروب التي نواجهها اليوم في بلداننا هو محاولات تشويه الحقائق وتشيتب الطرق المؤدية اليها ، وعرض افكار مصنّعة تنتجها شركات اقتصادية تبحث عن سوق بشرية تستهلك منتجاتها ذات الماركات التجارية الجاذبة مثل الإنفتاح ، واستثمارات عابرة للحدود ، وسرعة الوصول الى ابعد نقطة في خارطة الشبكة العنكبوتية في عالم افتراضي يعلن ويسوّق وينتج أفكاراً لمّاعة، جذابة ، بألوان برّاقة ، تحمل عناوين التطور التقني

والقرية الكونية ، والحرية الشخصية ، بينما تعطي بعض التقارير الواقعية نتائج مخيفة حول مستقبل صناعة الوعي في العالم ، حيث تمتلك شركات صناعية وتجارية ما لا تملكه أنظمة دول من قدرات ومن تدخلات في صناعة القرارات هنا وهناك حول العالم ، وهذه الشركات قائمة على لغة الأرقام والأرباح وتستخدم وسائل مادية لا مكان فيها للإنسانية إلا بالقدر الذي تتحقق معه أرباح كبيرة.

الإيمان والوعي

يتميز الإنسان على باقي المخلوقات بقدرته على وعي إيمانه بخالقه ، ومن ثم وعيه بواقعه بما ينطوي

عليه هذا الواقع من حقوق وحرّيات وقدرات وإمكانات وتحديات وعقبات .

في ظل مخرجات عصر التقنية والتطور العلمي والمعرفي وبرامج الذكاء الاصطناعي يتعين على وعي الإنسان ان يبحث في الكيفية التي سيتعامل بها عصر التقنية مع الدين كمعتقد وموروث وتشريعات. هل سيفرض عصر التقنية أدياناً جديدة تحاكي ثنائية التطور التقني والحاجة البشرية ؟

يقدم عصر التقنية تفوقاً آلياً للحاسوب ، من شأنه ان يربك حياة الناس في مجالات العمل ، وإعادة تعريف الحرية تعريفاً أو تعريفات تأخذ بعين الاعتبار المكانة المتقدمة والمتفوقة التي تحملها مشاريع الذكاء الاصطناعي بإنتاج حواسيب فائقة السرعة ، عالية

الدقة قادرة على إدارة مليارات العمليات الحسابية في ثواني معدودة ، وتحريك طائرة عن بعد ، ومركبة ذاتية القيادة ، وضبط منسوب السكر والضغط في الدم ، وهو ما قد يفضي الى تفاؤل رقمي افتراضي بإمكانية الوصول الى عمر أطول للكائن البشري كمنظومة بايولوجية، بعد تمكين عصر التقنية من انتاج نانو آلة يمكن حقنها في الدم ، وزرعها في الدماغ ...

الهوية والخصوصية

مخاوف كثيرة واسئلة كثيرة تلح على العقل البشري فيما يتعلق بخصوصيته ، وهويته ، وشخصيته ، ومعنوياته ، ومعتقداته ، وعاداته ، وقيمه وأخلاقه...

يمتلك العقل البشري قدرات واسعة ، تعتمد على ما في داخل الإنسان من قوة ينطلق بها في تحقيق إنجازات كبيرة تتخطى حدودها الأسباب التي كانت عليها بكثير ، فنسمع عن شخص انتقل من شدة المرض الى العافية ، وآخر انتقل من شدة الفقر الى الرخاء ، وثالث انتقل من شدة التعاسة الى السعادة ، فيشير اليه الناس بأنه شخص لديه إيمان قوي ، وانها امرأة إرادتها قوية ، وهكذا ..

مناهضة الفشل قد لا تحقق النجاح بالقدر الذي تحققه مساندة النجاح .. فلكي ننجح علينا ان ندعم النجاح اكثر من وقوفنا بوجه الفشل ، و الفارق بين الفكرتين أن مناهضة الفشل تركز على الفشل الى درجة قد يضيع معها قدر كبير من النجاح ، بينما يركز دعم

النجاح على النجاح وحده ، وفي هذا التركيز سينتهي
الفشل ..

ومناهضة العنف قد لا تصنع سلاماً بقدر ما تشتغل
على توفير امكانات مواجهة العنف وتحديدہ والقضاء
عليه ، فمناهضة الفاشلين قد لا تأتي بالناجحين ،
مثلاً هو تركيز الإهتمام بالنجاح ومواصفات
الشخصية الإجتماعية الناجحة في مجالات الثقافة
والسياسة والتربية وغيرها..

ان حصر الإنسان في إطار الكائن البشري الحيّ فقط
يحدّده ، واذا تحدّد تناقصت طاقته الإيجابية ، واذا
نقصت طاقته الإيجابية ، قلّ وعيه ، واذا قلّ وعيه ،
فُسح المجال للضعف ليشغل حيزاً في نفسه، واذا
سيطر الضعف على النفس ، انخفضت فاعلية

الرحمة والخير، وإذا وقع ذلك تلوثت أجواء التفكير بالسوء، وإذا أصيب التفكير بالسوء ، اضطربت الشخصية ، واضطرب توازنها ، وإذا اضطرب توازن الشخصية ، صُعب على الإنسان ان يتعرف عليها ، وإذا صُعب على الإنسان التعرف الى شخصيته ، تعثر في اكتشاف ذاته ، وإذا لم يفلح في اكتشاف ذاته تساوت عنده الأيام ، و (من تساوى يوماه فهو مغبون) في قول الإمام علي عليه السلام.

في قراءتنا لتاريخ ما حصل قبل واقعة الطف وصولاً الى الحدث المأساوي يوم العاشر من شهر محرم الحرام ، نجد ذلك الوعي الإيماني العميق الذي كانت تتمتع به شخصية الإمام الحسين ، فليس قوله (مثلي لا يبايع مثله) إلا دلالة على وعي الإمام بذاته . ذلك

الوعي الذي حمله على الخروج من المدينة ، وان لا ينتظر ما تحمله الأيام القادمة ، فقد كان وعيه الإيمان كفيلاً بتمكينه من قراءة ما بين السطور في قابل الأيام ، لذا خرج من مدينة جدّه باتجاه العراق ، وعلى الرغم من كل المتغيرات التي حصلت خلال الطريق وما آلت اليه الأحداث من عواقب ، وما تلقاه الإمام من عروض، إلا انه لم يثن عزمه عن المضي في الإصلاح الذي خرج لأجله .

من خلال الرؤية الأحادية الجانب للأحداث ، ذهب بعضهم الى ان الإمام الحسين لم يكن موفقاً في استمرار حركته في اتجاه العراق بعدما وصله من اخبار (مسلم بن عقيل) و(هانئ بن عروة) وما قاله الشاعر (الفرزدق) في لقائه به في الطريق لما سأله

عن الناس من خلفه ، فقال (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) ، فضلاً عن العروض التي تلقاها ، منها ما عرضه (عبد الله بن عباس) قائلاً اكتب الى أهل الكوفة فقل لهم إن أميركم فاسق فاعزلوه ، فإن فعلوا ، كانوا خليقين بأن تمضي اليهم وتتولى شؤونهم ، وان لم يفعلوا فقد اقامت عليهم الحجة وثبت لك انهم ليسوا خليقين بقائد مثلك . مع ان هكذا مقترح يمكنه ان يلقي ترحيباً حتى في وقتنا الحاضر الذي تغيرت ادواته وتطورت سبل التعامل فيه مع الأحداث ، لكن وعي الإمام كان كافياً ليريه الله مآلات الأحداث القادمة ، فرأى الإمام أن يستمر في طريقه على الرغم من علمه بما سيقع عليه وعلى أصحابه وأهل بيته .. هذا

هو الوعي الذي يمكنه ان يغيّر الواقع ، وهو ما تبحث في تحقيقه اوراق هذا الكتاب.

تأثير التقنية الذكية في علاقة المجتمع بالدين

من الأمور الخطيرة التي تواجه ثقافتنا المعاصرة ، هي إضطراب العلاقة بين تطور الذكاء الاصطناعي وتأخر التفكير الطبيعي .. تظهر خطورة هذا الإضطراب في قضايا مهمة متعلقة بالدين والمجتمع، فعندما تتعامل العقلية المتعصبة مع ادوات عصر التطور التكنولوجي فإنها ستوظف تلك التقنية لصالح تلك العصبية ، وقد سجّلت بعض ملاحظاتي على مقاطع فيديو انتجت بتقنية الذكاء الاصطناعي أو أعدت ميدانياً بتقنية الكترونية بهدف إثارة سلبية

معينة ، أو الإساءة الى إعتقاد معين ، أو تشويه طبيعة حدث ما . على سبيل المثال هناك بعض الفيديوها تسيئ الى جوهر طقوس عاشوراء لا من خلال الطعن ، ولكن من خلال الممارسة المسيئة . فقد ظهر بعض النسوة المتبرجات بملابس سوداء تعوزها الحشمة وهن يخدمن في موكب في طريق عام أو في مجلس عزاء حسيني يقمن بتقديم الماء والطعام للمارة في الطريق . يتخلل الفيديو مقطع صوتي لإنشودة أو (ردّة حسينية) . أصحاب هكذا مبادرات يستخدمون تقنيات الحاسوب والذكاء الاصطناعي ، وحرية النشر التي توفرها شركات الإنتاج الإلكتروني على صفحاتها ومواقعها وتطبيقاتها . فضلاً عن توظيف تقنية التزييف العميق، وهي تقنية ذكية تقوم على

إِعتماد مقاطع صوتية حقيقية مع صور حقيقية للشخص يتم إدخالها الى برنامج يشتغل بتقنية الشبكات العصبية الاصطناعية فيتم عبر التطبيق إعداد مقطع جديد للشخص نفسه وبصوته يظهر فيها معمم مثلاً ، أو مثقف ، أو شخصية تاريخية ، أو شخصية إجتماعية، وهو يتحدث بإسم التنوير الثقافي والنقد الإجتماعي والتوثيق التاريخي ، حديثاً يُراد منه الطعن والإستخفاف بالموروث الثقافي لنهضة الحسين في محاولة لجرّ طقوس المسلمين الى خارج دائرة الإصلاح الذي رفعه الحسين عليه السلام شعاراً لنهضته.

الإصلاح مشروع عملي ضد الفساد . فبمجرد حصر ذكرى الطف الأليمة بمجموعة طقوس تتحرك بين

قدور الطعام ، وأباريق الشاي ، ومواكب اللطم وقصائد النعي . دون ان يكون لها دور بارز وفعال في حركة الإصلاح ، ستتحول معركة الطف الى تراث مكتظ بالعبرات تستذكره الجموع بالبكاء والحزن ، وقد وظف السياسي الفاشل هذه العاطفة الصادقة عند الناس من أجل تغطيته على سوءاته ، أو استغلال المناسبة من أجل إستغلال الناس من أجل تحقيق غايات ومكاسب خاصة .

ميزان القوى

بعد توقعات بإنخفاض مصادر المواد الخام حول العالم مثل النفط والفحم والقطن والبن وغيرها ، يقترح عصر التقنية - البيانات - كمادة خام ، بديلة ،

يمكن بها فرض السيطرة على العالم بطريقة مختلفة تماماً في مظهرها عن طريقة التسلط والعنف وفرض القوة التي كانت من قبل ، انها في عصر التقنية تأخذ شكلاً تسليعياً ، تسويقياً ، استثمارياً ، يدخل المال عنصراً محورياً في تحديد وتوزيع مهام التسلط ، واذا كانت بلدان العالم العربي والاسلامي الى الوقت الحالي تشكو تأخرها عالمياً في طريق التنمية والتطور ، فإن هذا الشعور آخذ بالنمو أكثر من ذي قبل ، لأن المستقبل سيكون للسلع الذكية والتقنية فائقة السرعة ، عالية الدقة ، وهذا يحتاج الى أموال طائلة، هي اليوم في عهدة العالم الغربي المتطور أكثر منها في عهدة بلدان العالم العربي والإسلامي ، حتى الغنية منها بالبتروول ومصادر الطاقة .. بالنتيجة فإن

المعادلة ستبقى لصالح الغرب . لقد اصبح الغرب منتجاً والشرق مستهلكاً ، الغرب صار مصنعاً والشرق مقلداً ، السوق العالمية تديرها شركات غربية والمصانع العملاقة تديرها شركات غربية ، والسياسة العالمية تديرها انظمة غربية ، والعالم العربي الاسلامي يفتقر كثيراً الى وجود محركات قادرة على الدفع به لمواكبة هذا الخط أو اللحاق به بأي شكل من الأشكال .

ان مهمة الثقافة المعاصرة ومسؤولية المثقف اليوم لا تقل عن محنة وحيرة المسلمين ليلة العاشر من محرم . كربلاء ما تزال في انتظار الجميع . والحسين ما زال ينادي هل من ناصر ينصرني . وإذا كان (الحر الرياحي) قد تردد قبل أن يقف موقفه

العظيم ذاك . فإننا اليوم كمتقنين ومسلمين معاصرين غير معذورين لأي تردد او أي ضعف . أقلامنا سلاحنا في معركة العصر الحديث حيث ساحة الحرب فضاء الكتروني واسع ومعداتنا تقنية وذكاء اصطناعي ومعسكر للنفوس المريضة والعقول المتأخرة التي تتحرك بعصبية اصحابها وطائفيتهم ضد عاشوراء بإسم التطور والحرية.

بماذا يختلف القرن الواحد والعشرين عن غيره ؟

يمتاز القرن الواحد والعشرين بأنه عصر التطور العلمي والتقني المتسارع ، بالإضافة الى الدور الأبرز للعلم فيه والذي يكمن في تمكين الجميع من استخدام التقنية الرقمية المتطورة ، بغض النظر عن

اعمارهم ، ومستوياتهم الدراسية ، ومؤهلاتهم العلمية، وقدراتهم الفكرية ، وخلفياتهم الثقافية ، وخبراتهم الحياتية . لقد صار بمقدور كل شخص اقتناء منتجات هذه التنقية المتطورة كجهاز موبايل أو حاسوب شخصي أو الإتصال بشبكة الإنترنت . قد لا يبدو ان الأمر مخيف الى هذا الحدّ ، لكنه سيبدو كذلك عندما نعلم ان تدفق المعلومات ، وإتساع مساحات الحصول على المعرفة ، وسرعة الوصول اليها دون ضوابط ، يمكنه ان يتسبب في تضليل المستخدم وربما تفريغ محتواه النفسي والثقافي وإعادة تعبئتها بمحتوى آخر ، قد يكون مختلفاً عن طبيعته ، وثقافته ، وتاريخه ، وبيئته . وهو ما يمكنه ان يشكل خطراً واضحاً ، كشفت عن أعراضه

الجانبية الضارّة مشاكل شخصية وإجتماعية وأسرية أخذت تظهر هنا وهناك ، لأن هذا الحجم الكبير من الإستخدام يعني الحديث عن كم كبير من المعلومات، وهذا الكم الكبير يشمل الجيد والرديء ، فاذا كانت علاقة الانسان بثنائية الجيد والرديء ، والحق والباطال ، والصالح والطالح ، هي علاقة قديمة ، فإن ما يميزها اليوم انها تُعرض عليه بواسطة تقنية قادرة على تزييف الحقائق وتقديمها بشكل جذاب ومشوق ومقنع . فضلاً عن تراجع علاقة الفرد في القرن الواحد والعشرين بالكتاب كمصدر ، وعلاقته بالقراءة والإطلاع بدافع التثقيف ، عمّا كانت عليه في حياة الأجيال السابقة . هذا التغير جعل قدرة مستخدم التقنية المتطورة على التمييز بين الجيد

والردئ ضعيفة ، بسبب قلة الرصيد الثقافي لدى المستخدم وقوة اغراءات الشاشة الملونة وتقنيات العرض الثلاثي الأبعاد ، بالإضافة الى تراجع الخوف من المجازفة في الفضاء الافتراضي ، فصرنا نرى جرأة في الشباب على خوض تجربة ما يرونه من عروض الكترونية دون توقعات منهم لما يمكن ان يترتب على تلك الجرأة من اعراض ضارة.

الثقافة وإنتاج اللامعنى

من تلك الأعراض الضارة هو انتاج اللامعنى في الثقافة ، أي التناقض ، فقد نجد شخصاً يجعل هدف زيارته هو الظفر بالطعام والنظر الى الناس والتقاط الصور ونشرها على حسابه الشخصي في إحدى

مواقع التواصل الإجتماعي ليظهر للناس على انه شخص جيد . وقد نجد قوة أمنية رسمية توفر حماية للزائرين وقت الزيارة الأربعينية ، وقوة أمنية رسمية اخرى تعتدي بالضرب على معلمة خرجت في تظاهرة سلمية تطالب بمستحققاتها .

هذا التناقض تسبب في تقليص دائرة فهم الناس للتربية والتعليم والعدالة والرحمة . فصارت العملية التعليمية تنتج شهادات بلا محتوى ثقافي ، وربما بلا محتوى انساني عند بعضهم . فصرنا نسمع عن طبيب بلا انسانية ، وعن معلم بلا قيم ، وعن اكايمي بلا اخلاق ، وعن معمم بلا مبادئ ..

اننا نربط الثقافة بالنهضة الحسينية عن طريق علم الانسان ومن خلال صناعة الوعي نريد ان نحوي

الواقع المضطرب لإعادة ترتيب اجزائه الى حالة التوازن وهو أمر ممكن لسبب بارز ، هو ان عدداً كبيراً من محبي الإمام الحسين لا يزالون يحملون في دواخلهم قوى ذاتية محركة قادرة على اصلاح واقعهم ، لكنهم يفتقرون الى القوة الرئيسة التي تحركهم وتوجههم ، وهنا تأتي أهمية ضبط إيقاع ذلك الوعي الذاتي على صوت الصيحة الحسينية في يوم العاشر ، ولا يزال امام مجتمعاتنا وقت كاف للقيام بذلك . فإذا تمكنا من تحديد الإتجاه الصحيح فإننا بوجود التقنية الذكية السريعة سنتمكن من إدراك ما فاتنا من وقت ومن جهود ، وسنتمكن من إعادة بناء الزمن ، ومن الوصول الى حالة انسجام وحُسن استخدام بين الإنساني والآلي في علاقة المستخدم

بالتطبيقات الآلية الذكية . وإذا نظرنا الى بوصلة
الوعي الإنساني العميق فسيشير اتجاهها الى نهضة
الحسين عليه السلام .

من سيكتب تاريخ الطف في مستقبل الذكاء الاصطناعي ؟

التحريف صفة بشرية قديمة ذكرها القرآن الكريم في
آيات عدة ، منها في سورة النساء قوله سبحانه وتعالى
بسم الله الرحمن الرحيم : (فويل للذين يكتبون الكتاب
بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً
قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما
يكسبون) سورة النساء الآية 79.

قضية الحسين عليه السلام كحدث تاريخي لم تنج من التحريف ، بل لعلهم الجّوا في تحريفها . تجدر الإشارة الى جهود الشيخ (مرتضى مطهري) في محاضرة له وبحث مفصّل عن التحريف ، فقد ذكر قصصاً كثيرة أريد بها تحريف أحداث واقعة الطف وحركة الحسين عليه السلام من المدينة الى العراق، وهي معلومات مذكورة ومدونة يمكن الرجوع اليها بسهولة .

لكي نفند اي تحريف فإننا نحتاج الى:

- مصادر معتبرة .
- طريقة تفكير موضوعية .
- المصادر : هي الكتب والوثائق .

أخذ الكتاب يختفي من أمام أعين الناس في الأماكن العامة والأسواق وفي كثير من البيوت ، وأخذ يغيب عن خواطر كثير منهم ، لأسباب ابرزها:

الحالة المعيشية وإرتفاع أسعار الكتب مقارنة بالدخل اليومي لعدد كبير من ابناء المجتمع مما جعل الفرد ينشغل بالدخل الشهري اكثر من انشغاله بالدخل الثقافي .

بالاضافة الى ظهور الشاشات الملونة وأجهزة التقنية المتطورة التي اصبحت جزءاً مهماً من حياة الفرد اليومية ، بحيث أخذت جزءاً كبيراً من وقته ولعلها أخذت كلّ وقته . وهناك سبب آخر ، هو ازدياد أعداد النفوس الذي ترتب عليه ازدياد الطلب على السكن ، لكن وبسبب الوضع الإقتصادي الذي لا يسمح بتحقيق

ذلك اظطرت كثير من المنازل الى الانقسام حتى صارت كثير من العوائل تسكن في 50 متراً مربعاً، وفي هذه المساحة الصغيرة جداً لا مكان للتفكير بمكتبة للكتب.

ظهر الكتاب الالكتروني بديلاً عن الكتاب المطبوع الذي على الرغم من وجود صعوبات في الحصول عليه بسبب الوضع المعاشي والوضع التعليمي لكثير من الناس ، كانت هناك رغبة في القراءة ، وكان هناك وقت للقراءة . ولما ظهر الكتاب الإلكتروني ، وعلى الرغم من الخدمة الكبيرة التي قدمتها التقنية المتطورة في سرعة الوصول الى الكتاب ، وسهولة الحصول عليه ، فضلاً عن الخدمة المجانية التي أتاحتها كثير من مواقع الكتب الألكترونية بحيث

صار ممكناً تحميل أعداد كبيرة من الكتب كان
شراؤها يرهق الكاهل ، لم تعد هناك رغبة في القراءة
ولم يعد هناك وقت للقراءة .

تفيد الدراسات الانثروبولوجية ان الناس في عصر
التقنية المتطورة يفضل واحداهم أن يقرأ ملخصاً
لكتاب على أن يقرأ الكتاب نفسه .

ويفضل ان يقرأ اسطراً معدودة على أن يقرأ صفحة
كاملة .

ويفضل أن يقرأ منشوراً أو خبراً مرفقاً مع صورة
فوتوغرافية على أن يقرأ الخبر أو المنشور نفسه
بدون صورة فوتوغرافية .

ويفضّل أن يشاهد ويسمع على أن يقرأ . لذا كثرت وشاعت المنشورات السريعة والقصيرة ومقاطع الفيديو على شبكة الإنترنت في مواقع التواصل الاجتماعي .

وظهرت مؤخراً تقنية للذكاء الاصطناعي تتيح تحويل كتاب من 200 صفحة واكثر الى مقطع صوتي هو عبارة عن حوار بين اثنين بحيث يستطيع الفرد ان يستمع الى كتاب كامل في حدود 20 دقيقة إعتماًداً على حجم الكتاب الالكتروني المقدّم لتطبيق مثل Chat GPT ليحوّله الى تقنية صوتية .

الدراسات الانثروبولوجية في الثقافة تثير تساؤلات كثيرة منها لماذا يتم العمل على تقنية متطورة عالية الدقة مثل تقنية التزييف العميق مثلاً ؟

ماذا على المجتمع ان يفعل لو تحقق ذلك ؟

ماذا يضرّ الفرد وجود هكذا تقنية متطورة للتزييف العميق ؟

يبدأ الضرر من إدراكنا ان التقنية الذكية تخاطب النفوس وتوفر لها أجواء الراحة ، وتعفي العقول من التفكير بتوفير أجوبة مقبولة وسريعة لكل سؤال .

لقد بدأ ذلك فعلاً حيث اخذ كثير من الناس يعتمدون كلياً على الذكاء الاصطناعي في كل شيء حتى شؤون الحياة البسيطة .

هذا يعني ان لغة المخاطبة الجديدة ستكون موجهة للنفس ، والنفس في مجال التوثيق تميل الى الكتاب القديم والى الاوراق المصفرة بسبب تقادم الزمان

عليها . وقد حصلت هذه المخاطبة فعلاً ، ففي ازمة كورونا كما ذكرنا . انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي خبر وجود كتاب قديم يحمل عنوان (عظام الدهور) لمؤلفه (ابو علي الديزي) المتوفي في القرن السادس الهجري ، يتحدث في احدى صفحاته عن ظهور وباء يجتاح العالم في المستقبل . اتضح انه لا وجود اصلاً لكتاب بهذا العنوان ، ولا وجود لمؤلف بهذا الاسم .

فإذا امكن كشف هذا الزيف بوجود معنيين ومختصين وبوجود مكتبات ومصادر ، فإن المستقبل القريب سيظماً الى هكذا اشخاص وستكون المصادر بعيدة عن تناول أجيال المستقبل وهي بين أيديهم بسبب انشغالهم بالشاشات وابتعادهم عن القراءة .

لذا ندعو الى ان تكون للثقافة الاسلامية خطة مستقبلية مثلما هناك خطط مستقبلية في مجالات العلم والاقتصاد وغيرها . بواسطة مشروع النهضة الثقافية الذي نتحدث عنه يمكن البدء بتكوين جهاز حماية مناعي يحمي ثقافتنا وتراثنا من الفيروسات الإصطناعية الذكية التي يمكنها ان تضرّ بهذه المنظومة التاريخية الأدبية الإسلامية .

الإيمان والتقنية الرقمية

لا يخلو عصر التقنية الرقمية من الإيمان ، لكن الإيمان في هذا العصر هو ايمان فني ، تقني ، آلي ، عضوي . لا مكان فيه للروح ، ليس لسبب سوى ان

مختبرات العلماء وتجاربهم لم تثبت لهم وجود هذه الروح ..

من خلال هذا البحث الانثروبولوجي ، لا ازمع انني أحاول تفعيل حضور الدين في حياة الفرد والمجتمع ، لكني ازمع النجاح في هذه المحاولة ..

إن أماننا كمجتمعات عربية مسلمة في حدود عقد أو أكثر من السنين القادمة مهمة إعادة تنظيم البناء الاجتماعي ، وتحديث منظوماتنا الفكرية عبر أدوات ووسائل عصر التقنية للحفاظ على الأدب العربي الإسلامي قبل تغريب الثقافة ..

قد يجازف بعضهم بحياته ، فيعرضها للموت لأسباب غير مقبولة كالإدمان والانتحار ، ظناً منهم ان حياتهم

ستنتهي يوماً ما ، وهذا أمر مسلّم به ، فلا يهم ما هي الطريقة التي ستنتهي بها حياتهم .. فلكل ظروفه التي تدفعه الى إنهاء حياته ، سواء كانت تلك الظروف مؤقتة أو مرحلية أو عابرة أو مزمنة . حسبها انها دعمت موقفه في اتخاذه قرار إنهاء حياته .. ماذا لو ترسخ في أذهان الناس ان بوسعهم ان لا يموتوا أبداً - أو انهم اذا تعرضوا الى حادث عارض أو وقعت مشكلة أو خطأ ما أثناء ممارستهم عملاً معيناً أو رياضة أو هواية ما ، فإنهم يمكن ان يعيشوا عمراً طويلاً ، اكثر بكثير من المعدلات التي تسجلها اعمار الناس حول العالم !.

طرح الإسلام هذه الفكرة عبر العطاء الإنساني خلال الحياة الدنيا ، وعزّف العلماء ذلك بالخلود والعمل

الإبداع والعطاء الإنساني .. فعندما نقرأ كتاباً مرّت عشرات أو مئات من السنين على إصداره ، فكأننا بالفعل نتحدث الى مؤلف ذلك الكتاب ونحن نقرأ أفكاره ونعيش أجواء عصره ونستحضر أفكاره . لكن الأمر في عصر التقنية يأخذ بعداً بيولوجياً محضاً. هنا تأتي أهمية توظيف الدراسات الانثروبولوجية في الدين والثقافة لأجل تفعيل حضور الروح في حياة الناس المادية ، فالإنسان لا يمكن ان يتحوّل الى مجرد كتلة بشرية ، كما لا يمكنه ان يعيش خيلاً خصباً لا واقع له . من هنا جاءت دعوة الإصلاح التي خرج لأجلها الإمام الحسين لترسيخ فكرة البحث عن توازن جانبي الانسان المادي والروحي . فعندما رأى الإمام الحسين عليه

السلام بعمق وعيه الإيماني ان حكومة يزيد ستقضي على هذه المعادلة الضرورية في حياة كل شخص ، رفع شعار (هيهات منا الذلة)، واختار الإمام لفظ (الذلة) في إشارة الى ان حياة الإنسان المادية بدون بعد روعي تجرّه الى الذل، والذل في اللغة هو الخضوع والهوان والضعف . لا تظهر هذه العلامات على الإنسان الا عندما يعتقد بأن حياته مرهونة بحاجاته المادية ، فلكي يقضيها ويحققها فهو بحاجة الى اللين والتذلل والخضوع ، وهو ما يبدو واضحاً في زماننا ، فقد نرى سيدة محجبة وهي تخلع حجابها مقابل فرصة عمل مغرية تدرّ عليها مرتباً كبيراً ، وقد نرى باحثاً يغالط نفسه وينقلب على المعنى الذي يعرفه من أجل مبلغ كبير من المال وُعد به مقابل

ذلك . لقد اخبرنا التاريخ عن قصص كثيرة حصلت مع اشخاص كان يفترض بماضيهم الحافل بالتجربة الحية ان يحصنهم من الوقوع في شرك النفس الإمارة بالسوء كما حصل مع كل من (طلحة والزبير) ، لكنهم وقعوا . وبالمقابل حدثنا التاريخ عن اشخاص كان لوعيهم العميق دوره في تحصين النفس من فقدانها الإمتيازات التي اكتسبتها خلال فترة عطائها، مثل (ميثم التمار) وآخرين ، وصولاً الى اصحاب الحسين الذين جسّدوا كل صور التفاعل الإنساني بمختلف درجات الوعي فيه ، فهذا (زهير بن القين) رجل كبير السن ، وهذا (وهب) شاب في مقتبل العمر ، وتلك عروس لم يمض على زفافها سوى وقت قليل ، واخرى استهجنّت من زوجها ان يحملها

الى مضارب اهلها خوفاً عليها مما سيلحق بهم يوم العاشر ، أم قدّمت ولدها الوحيد الى ميدان المباراة ولم تفقد وعيها وهي تراه صريعاً ، بل حملت عموداً ونزلت به الميدان ، وكثير من البطولات التي لا يجوز إطلاقاً على الوعي الإنساني ان يستحضرها كذكرى فقط تندرج ضمن عادات الشعوب ، أو كتاريخ مشرّف نستحضره لإرتباطه بالهوية الدينية ، مهما كانت انعطافات الزمن الذي نعيشه ، ومهما حصل من إنقلاب على المعنى ، فإن الإصلاح الذي نادى به ودعا اليه الإمام الحسين هو تدريب تدريجي وتعليم وإعلام منسّق ومنطقي ، وهو ما نسعى اليه في هذا الكتاب ، مستفيدين من الخدمة العلمية الكبيرة

التي تقدمها التقنية الرقمية في دعم سعينا لنشر الوعي وصناعته في المجتمع كي يتمكن ثقافياً .

ما معنى الحياة في عصر الآلة الذكية ؟

الحياة هي أثمن ما اكتشفته قدرات الإنسان في تاريخ وجوده ، وأثمن ما في هذه الحياة ، هو ان يجد الإنسان نفسه . فإذا وجدها وظّف سنوات عمره لبلوغ وعيه بها حدّ انصافها ، ووضعها في المحل الذي يستحقه كإنسان واع ، قابل للتحضر والنمو باتجاه تراكمي ، تكاملي . عدا ذلك لا يكون للوجود البيولوجي للجسم قيمة تستحق البحث والعمل على تمكينه من البقاء 50 أو 100 أو 150 أو 500

عاماً كما جاء في ابحاث مستقبلية لبعض مشاريع الذكاء الاصطناعي.

يضع الدين إيمان الفرد كمادة أولية أساسية لتجديد منظومته الحياتية ، فبالإيمان تستطيع ان تحدّد موقعك على خارطة الوجود ، ومنها تراقب بإيمانك تحركاتك ، فتميز بين طريقي الخير والشر ..

في عالم المال والأعمال الذي نشهده اليوم ، يندرج معنى الحياة ضمن متعة النفس وتلبية حاجات الجسم البشري ، حيث المال هو المعيار الذي تقاس عليه جودة ورداءة حياة الناس ، وهو ما تحاول مشاريع الأنظمة العالمية جرّ الناس اليه ، فقد بدا لكثيرين ان التسوق وكثرة الإستهلاك هي مؤشر إيجابي على ثقافة الشخص ، في حين وجدت الشركات العالمية

الكبرى في هذا الفهم طريقة ترويج رائعة لبضائعها ومنتجاتها ، فدخلت على خط العروض المغرية التي تقوم على إستغلال حاجات الناس . شيئاً فشيئاً وجد كثير من الناس انهم مضطرين لقبول هذا الواقع الإستهلاكي الذي استنزف قدراتهم المعرفية ومعلوماتهم الثقافية المرتبطة بتاريخهم وتراثهم الى الحدّ الذي لم تعد فيه كثير من الإلتزامات لها معنى عميق في اذهان الناس بقدر ما تشكل مظهراً حياتياً ضرورياً .

من الوحي الى الوعي

هل يُدرس الإنسان في التقنية الذكية من حيث قيمته التي ينبغي أن تكون عليها ؟ ام من حيث ظروفه التي هو عليها ؟

هل يُنظر الى عقل الانسان على انه يؤدي دوراً عضوياً كما هو حال اعضاء الجسم الأخرى ؟ ام هو دور عابر للعضوية المادية ؟

هل يُنظر الى علاقة الإنسان بالطبيعة في ضوء عقلنة الطبيعة ؟ أم في ضوء طبيعة العقل . بمعنى جعل العقل قابلاً للتحليل في ضوء اصول الطبيعة ، وهو ما يتجه اليه عصر التقنية الرقمية الذكية . أما عقلنة الطبيعة فهو أمر محسوب على البعد الروحي .

يقبل واقعنا اليوم بنتائج التطور العلمي التقني ، ولا يجد ما يكفيه من وقت لبحث اسباب هذه النتائج ، ومستقبلها ، فقد تمكن بريق المنتجات الصناعية المتطورة من خطف انظار المستهلكين بعد ان تمكن العلم من التعامل مع المستهلك على وفق حاجاته المادية ، وجعلها هي الحاجة الأهم التي لها المساحة الأكبر وربما كل المساحة في حياته على حساب باقي الاحتياجات الروحية والثقافية والنفسية . فالعلم الحديث يتعامل مع الناس في ضوء الوعي التلقائي للفرد ، وليس في ضوء الوعي الموضوعي . الوعي التلقائي يوفر مادة خام تخدم سعة الإنتاج في مجال التطبيقات الرقمية والخدمات الإستهلاكية ، وصارت النسبية شماعة يعلق عليها تنوع الأفكار

والإعتقادات، فبعد ان كان يُخشى من زيارة الأربعين في الماضي ، صارت الزيارة حرية شخصية واعتقاداً خاصاً ، ولم تعد قضية انسانية عامة ، ورسالة واجبة ، فكل عام يسير ملايين الناس الى ابي الأحرار وهم يحملون طموحات وجراحات ، فما ان تنتضي الزيارة حتى يعود كل شيء الى ما كان عليه قبل الزيارة .

النسبية الثقافية

النسبية الثقافية هي قبول الجميع بثقافات الجميع .

ان مجتمع عصر التقنية اليوم يسير باتجاه النسبية الثقافية ، وباتجاه الفردية التكوينية ، وباتجاه المشتركات التقنية العالمية . كما يمضي في اتجاه

التعامل مع الإنسان والطبيعة والأشياء والكائنات الأخرى على أنها قابلة للتحليل والبحث العلمي المادي المختبري بالطريقة نفسها التي يتعامل بها مع الفيزياء والرياضيات وعلم الحياة . لذلك تأتي أهمية العمل على التفكير بجوهر القضية الحسينية من حيث تعلق الأمر بإنسانية الإنسان وتفرده بميزة الإبداع ، فقد لا تبدو النسبية الثقافية مقلقة كموضوع بذاتها ، لكن المقلق هو محاولات تمكين الجميع من هذه النسبية بحيث يتم تمكين الفرد من أن يكون موضع تقليد وإعجاب ومتابعة آخرين له ، مهما كان مستواه وتحصيله العلمي وثقافته وعلاقته بمنظومة الدين والأخلاق والأعراف الاجتماعية والقيم الإنسانية ومفاهيم الخير والشر والعدالة والظلم والحق

والرفاهية والحُبّ . يكفي أن يتمكن من تحقيق أعلى معدلات تفاعل وإعجابات ومتابعات لمنشوراته ونشاطاته التي يقوم بها على مواقع التواصل الافتراضي ومواقع التواصل الواقعي وإن كانت غير هادفة ، أو قد تبدو تافهة بالنسبة للبعض ، لكنها ستكون مقبولة ومعمول بها مادامت خاضعة لضوابط عمل الشركات المنتجة للتقنية الرقمية التي باتت هي المصدر الأول لإتصال الفرد بالعالم من خلال ما تتيحه من حرية إفصاح وتعبير ونشر وترويج وعمل.

من أخطر ما في البيئة الثقافية كمشروع نظام عالمي سياسي اقتصادي ، انها تدفع بالجميع الى الابتعاد عن الإتفاق على وحدة العمل الجماعي ، والابتعاد عن

فكرة الموقف الموحد ، التي هي أهم ما نحتاجه اليوم في مجتمعاتنا لكي نواجه بها التغييرات الكبيرة والخطيرة التي يُراد لها ان تمرّ بنا ، لقد جاء (طوفان الأقصى) في فلسطين ليوضح أهمية ذلك . فقد رأينا ما حلّ بالفلسطينيين على يد الصهاينة ، لكننا بالمقابل لم نقدّم عملاً جماعياً أو موقفاً جماعياً يوازي خطورة ما يتعرّض له الإنسان هناك . عندما تشيع فكرة النسبية الثقافية في العلوم الإنسانية ، سيصبح من الصعب إيجاد أهداف كبرى ومشاريع كبرى مثل مشروع الإصلاح الحسيني ، ومن شأن غياب المشاريع الكبرى المشتركة بين أبناء مجتمع واحد وأمة واحدة انه سيضيّع عليها فرصة أو فرص التطور الذاتي ، لتبقى لها فرص التطور النسبي فقط.

إذا عدنا الى ما ذكرناه في بداية البحث من ان الحسين عليه السلام خاطب المعسكر الآخر بقوله : ان لم يكن لكم دين فكونوا احراراً في دنياكم، سنجد خطورة الموقف الراهن . فإذا انحصر الفهم بالإدراك الذاتي ولم يفتح العقل قنوات إتصال خارجية لتلقي حوافز ومعلومات تنمّي حركة صناعة الرأي والقرار فيه ، فسيظل عدد أنصار الحسين الحقيقيين قليل كما كان قبل اكثر من الف عام . لهذا فإن اصرار ملايين الزائرين على تكرار زحفهم كل عام صوب كربلاء يقلق القائمين على مشاريع النظام العالمي والأجندات السياسية ومشاريع زيادة رأس المال المادي على حساب رأس المال الثقافي. لأجل هذا لا بدّ من مداراة هذا الزحف المليونى كي لا يتحوّل الى مجرد نشاط

شعبي جماهيري وقتي لا يشكل فيه عدد الزائرين الضخم سوى رقم في حاسبات الإحصاءات الرقمية.

تحقيق التوازن بين المادي والروحي في حياة الانسان يحتاج الى قوة ، ينبغي ان يكون مصدرها طبيعياً لكي يتجاوز الفرد والمجتمع حالات الضعف التي يمرّ بها ، لأنه ان لم يكن مصدر القوة طبيعياً ، امكن توظيف ذلك المصدر مادياً في دعم الضعف وبقائه في الفرد والمجتمع لضمان تحوّل الفرد الى شخص خاضع ومستسلم لواقعه مهما كان سيئاً أو خطأً ، ولنا في قضية الإمام الحسين مصدر طبيعي للقوة الكافية لبعث روح النهضة في ذات الفرد والأمة لو تهيأت شروط تلك النهضة .

الكاتب والمفكر المصري الراحل (فؤاد زكريا) في كتابه (خطاب الى العقل العربي) يقول تحت عنوان (معركة الثقافة) (لا بد لنا ان ندرك بوضوح ان الثقافة هي قبل كل شيء "معركة" ومن المحال ان نؤمن انفسنا ضد خطر ثقافي خارجي ما لم نقم نحن انفسنا بهجومنا المضاد الذي نسعى فيه الى التخلص من الثقافة الفاسدة او المنحلة عن طريق احلال ثقافة اخرى ايجابية وإنسانية محلها، فالصد والدفاع وحده قد يكون مجدياً في ساحة المعركة الحربية ، ولكنه في ساحة المعركة الثقافية لا يفيد ، وانما هو اقصر الطرق الى الهزيمة والتسليم . وبالفعل فإن المجتمعات التي تحاول صدّ الأخطار الثقافية الخارجية عن طريق سن تشريعات المنع والخطر

والرقابة ، هي اكثر المجتمعات تعرضاً لهذه الأخطار، اما المجتمعات التي تصنع ثقافتها الخاصة المستنيرة المتفتحة ، وتواجه بها تلك الثقافة الانحلالية ، فهي وحدها التي تستطيع ان تصمد وتنتصر) . صيحة الإمام الحسين (هل من ناصر ينصرنا) هي دعوة استعداد للمعركة الثقافية التي نواجهها منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا ، فلكي لا نخسر هذه الحرب ، علينا ان نتفكر بعمق في مجريات واقعة الطف من خلال ثنائية العبرة - بفتح العين - ، والعبرة - بكسر العين- . وان لا يقف هدف تحقيق هذه الثنائية على حياة الفرد وانما يتعداه الى حياة المجتمع . ويرى الروائي والمصلح الاجتماعي الروسي (تولستوي): ان اقوى المحاربين

هما الوقت والصبر . هذان المحاربان مازالا موجودين في شخصية المسلم الحسيني المعاصر على الرغم من كل محاولات اضعافهما . فقد ثبت من خلال التجربة والخبرة ان العقيدة هي اقوى سلاح يحمله الشخص في حياته ، وقد يكون هذا السلاح ضاراً ما لم يكن حاملة واعياً لطريقة استخدامه ، والنهضة الحسينية بالبعد الانساني الذي تبنته ، وبمشروع الإصلاح الذي اعتمدته ، وبحجم العطاء الذي قدمته ، تمثل افضل مصدر للطاقة واكثرها أماناً يمكن اعتمادها ثقافياً في العصر الحالي لإصلاح ما يقتضي الإصلاح فيه ، لذا ينبغي اتخاذ خطوات عملية لتحريك هذا المشروع عبر نهضة واعية قادرة على تمكين المجتمع ثقافياً.

الفصل الرابع

المجتمع والشعائر الحسينية



توصل علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ
والانثروبولوجيا الى حقيقتين :

الحقيقة الاولى: انه لا يوجد مجتمع الا وله دين او
هو يبحث له عن دين .

والحقيقة الثانية : انه ما من شخص الا وله شعور
ديني يختلف من شخص الى اخر فقد يكون متديباً
او مخفياً او متخذا نمطا معيناً وقد يظهر في فترة من
عمر الانسان ..

يرى المؤرخ الفرنسي ارنست رينان المشهور
بترجمته للكتاب المقدس والداعي الى نقد مصادر
الدين نقداً علمياً وتاريخياً لكي يتم التمييز بين ما هو
تاريخي وما هو اسطوري مما ورد في الكتاب

المقدس ، يرى انه " من الممكن ان يضمحل ويتلاشى كل شيء نحبه وكل شيء نعدّه من ملاذ الحياة ونعيمها ، ومن الممكن ان تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل ان ينمحي التدين او يتلاشى بل سيبقى ابد الأباد حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي"

يقول كارل غوستاف يونغ الطبيب وعالم النفس السويسري ، مؤسس علم النفس التحليلي " من بين جميع المرضى الذين تعاملت معهم في النصف الثاني من حياتي لم أجد مريضاً واحداً لم تنته مشكلته في نهاية المطاف الى مشكلة العثور على رؤية للحياة ويمكن القول بكل ثقة ان هؤلاء جميعاً انما شعروا بالمرض بسبب فقدانهم الشيء الذي تقدمه الاديان

الحية في كل عصر لاتباعها ولم يتمثل اي واحد منهم للشفاء الحقيقي قبل ان يعثر على رؤيته الدينية" ..

الهوية الدينية للمجتمع

يدرس العلماء تغير المجتمع باهتمام من أجل مزيد من العدالة الإجتماعية والرفاهية الإقتصادية والتوازن الإجتماعي ، والتطور الثقافي .

نحاول في هذا الكتاب تسليط الضوء على ما يمكن من تأثيرات جانبية لتغير المجتمع يتوقع منها ان تلحق ضرراً بالهوية الثقافية الدينية الاجتماعية ..

تعرض المجتمع العراقي في العقدين الأخيرين الى جملة ضغوطات وأحداث القت بضلالها بشكل ملحوظ على تفاصيل الحياة اليومية ما بين تغيير نظام الحكم بدخول المحتل القادم بأدوات تختلف عما كان عليه في السابق ، وما ترتب على ذلك من فوضى نتج عنها إضطراب الأمن وظهور العنف والإرهاب والتطرف الديني ، وما ترتب عليه من إضطراب إقتصادي الحق الأذى بدخل الفرد ، فازداد أعداد الفقراء ، وظهرت حالات البطالة والتردي التعليمي والتراجع الصحي وازدياد الفجوة بين السلطة والمجتمع ، وما يمكن ان تتركه هذه المتغيرات من تأثير في هوية الفرد وهوية المجتمع .

بين علم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا

قد يبدو للقارى ان علم الاجتماع لا يختلف عن علم الانثروبولوجيا في تناولهما لطبيعة المجتمع ، لكن ما تجدر الإشارة اليه هو ان علم الاجتماع يُعنى بجزئية من جزئيات الحياة الاجتماعية بالدراسة والتحليل ، كأن يدرس الدين في المجتمع ، او يدرس حالات الطلاق ، أو حالات العنف الأسري والعنف المجتمعي ، أو حالات الإنتحار أو غيرها من مشاكل الحياة الاجتماعية .. أما علم الإنثروبولوجيا فإنه يتناول هذه القضايا بنظرة شمولية من خلال مباحثه في علم الانسان الإجتماعي والثقافي والحياتي وتأثير اللغة ..

حرية التعبير وحرية التفكير

تواجهنا في القرن الواحد والعشرين مشكلة حرية التعبير ، وحرية التفكير ، وحرية الاعلام ، وحرية النشر التي وجدت مساحات مفتوحة في العالم الافتراضي لإحتوائها ودعمها بحيث بدأت تظهر محتويات هابطة لأشخاص غير مؤهلين لبلوغ مواقع الشهرة والوجاهة في المجتمع لأنهم دخلوا عالم الإتصالات والتواصل من أجل الكسب المادي ، فقدّموا عروضاً هابطة وتافهة وضارة ، حسبها انها لقيت اعجاب ومتابعة كثير من الناس الباحثين عن الغريب والمثير والساخر لكي يخففوا عن انفسهم ثقل ضغوطات واقع الحياة الإجتماعية التي يعيشونها ،

التي لا يجدون فيها أملاً مشرقاً في غدٍ يزيح عنهم هذه الضغوط التي بلغت الحدّ المسموح به للتحمل من قبل كثير من الناس .

لقد اخذت كثير من السلوكيات السيئة تظهر في الشارع وهي تتقاطع مع منظومة البناء الاجتماعي التي يجدها المجتمع معبرة عن طبيعته ، ولقيت امتعاض كثيرين ، فعندما يخرج شاب الى الشارع بـ(البرمودا) - سروال القصير فوق الركبة - بينما تفرض العادات والقيم والدين ضوابط على خروج المرأة الى الشارع .. والشاب الذي يخرج الى الشارع بالبرمودا هو نفسه يرفض ويمنع خروج زوجته او اخته الى الشارع بدون حجاب ..

لقد استثمرت كثير من منظمات حقوق الإنسان ومؤسسات دعم الحريات الشخصية في هذه السلوكيات وهذه الظروف ودخلت من باب الحريات والتحضر والتغير الاجتماعي ودعت الى رفع الحجاب عن المرأة من دون ان يأخذوا بعين الاعتبار طبيعة الهوية الثقافية للمجتمع ، مما ادى الى ظهور تيارات متشعبة حدّ العنف ضد دعاة خلع الحجاب .. وظهرت تيارات اخرى تدعو الى اعادة النظر في الموروث الديني والاجتماعي والثقافي ..

ودعت جهة ثالثة الى ترك الأمر في خانة التقدير الشخصي للفرد .

هنا تظهر أمامنا مشكلة كبيرة جديدة ، وهي ان اغلب الناس في ظل ظروف البلاد في العقدين الاخيرين لم

تتھياً لهم فرص التأمل في طبيعتهم وحياتهم وظروفهم ، ولم تتھياً لهم فرص القراءة ومتابعة تجارب الاقدمين ، وبالتالي فقد وجدوا انفسهم عرضة الى تشكيل هوياتهم الجديدة من خلال العالم الافتراضي ومواقع التواصل والبيئة الجديدة الخارجة من رحم الواقع المجھض والمنھك بسبب ظروف الحرب والارهاب والاحتلال والاضطراب الامني والاداري والاقتصادي والثقافي ..

هل تراجع دور المجتمع ؟

كان المجتمع ولا يزال الى حدّ بعيد مراقباً جيداً لنظام البناء الاجتماعي فيما يخص تبادل العلاقات بين ابناء المجتمع الواحد ، ومتابعة ما يظهر من حالات

وسلوكيات تشذ عن الإطار العام للهوية الثقافية للمجتمع الاسلامي ، لكن الفترة الأخيرة في حدود العقدين الماضيين اتّسمت بظهور تحوير للمعنى او تغيير في حدود المعنى للمعنى لبعض المصطلحات ومن اهمها مصطلح الحرية الذي يأخذ بيد الشخص الى حيث مبتغاه ، وان كان ابعد من حدود الذوق العام وطبيعة المجتمع ، يكفي ان يكون حراً بالقدر الذي لا يلحق ضرراً مباشراً أنياً بغيره ، حتى وان ترتب على تلك الحرية الشخصية انماطاً سلوكية لا تبعث على ارتياح الآخرين .. كما ان التقنية المتطورة بمنتجاتها التي لم يعد بوسع اي شخص التخلي عنها في مجالات الحياة الإجتماعية ادلت بدلوها في إحداث فجوة داخل الأسرة الواحدة بين

الآباء والأبناء . لقد زاحم الإعلام الرقمي الحديث كل من الأسرة والمدرسة في التربية والتعليم ، فقد وجد الآباء تفوقاً في قدرات ابنائهم قياساً بقدراتهم على التعاطي مع مخرجات المشاريع الصناعية الإقتصادية ، ومع تنوع سبل المعرفة ، وسهولة الوصول الى المعلومة ، خصوصاً وان لغة العالم الافتراضي هي اللغة الإنكليزية التي لا يجيدها كثير من الآباء مثلما يجيدها الابناء ..

تأثير اللغة في الحياة الإجتماعية

للغة تأثيراتها في الحياة الاجتماعية ، فهي روح الهوية الثقافية .. إذ تغيرت طبيعة تلك الروح من اللغة العربية الفصيحة الى لهجات دارجة اوجدتها

الضرورة بحكم تراجع مستوى التعليم الى مهنية الوظيفة الروتينية مقابل العروض القوية التي يوفرها العالم المنفتح على بعضه اقتصادياً وثقافياً وتجارياً ، الأمر الذي يفرض على كثيرين تعلم تلك اللغات لمراعاة المصالح والمنافع والمكاسب ، هذا الوضع يجر باتجاه الابتعاد عن الهوية الثقافية لطبيعة المجتمع الاسلامي العربي ..

ما يدعو الى القلق ان كثيرين تقمّصوا شخصيات قلقة تبدو في ظاهرها متوازنة لكنها في الواقع مجاملة اكثر منها واقعية ، لأن المجاملات تهيء جواً من الهدوء يمكن من خلاله تمرير حالة اللاتوازن التي يعيشها كثير من الناس بسبب عدم التكافؤ بين طبيعة الهوية الثقافية للمجتمع بماضيه وحاضره مع عجلة

الزمن الماضية باتجاه التغريب الثقافي في المستقبل خصوصاً جيل الأبناء الذين اخذوا يفتقرون الى الصلات التي كان الأسلاف يتمتعون بها مع أسرهم ومجتمعهم ، جيل الأبناء اليوم يرتبط بمحيطة ارتباطاً بيولوجياً في إطار مجاملاتي في جو مستقر سرعان ما ينكشف وهنه مع أول احتكاك أو اصطدام تمليه المصلحة الشخصية وتفرضه ظروف الحياة المادية التي تلاعبت بالنسيج الاجتماعي ودفعت به الى تشكيلات وتجمعات بشرية يطلق عليها نظرياً - مجتمع - لكنها عملياً كتل متفرقة لكل منها نظامها الاجتماعي الذي تعبّر به عن طبيعتها الجديدة في بيئة تعلو فيها لغة الارقام على سواها من اللغات الحية ..

دعوات إحلال اللهجة العامية محل اللغة الأم

اتسعت في العقدين الاخيرين دعوات اشاعة اللهجة العامية على اللغة الفصيحة . واشاعة تسكين او اخر الكلمات على التمكن من سلامة مخارج الكلمات على وفق الضوابط اللغوية والقواعد . واشاعة دعوات تمرير الأخطاء على النقد البناء بحجة ان النطق مرهون بالقصد من سياق الكلام ، فصار بمقدور كل من لا يمتلك ناصية الإجادة ان يظهر في محافل اجتماعية وثقافية ليتحدث فاذا صادف ووجهت له إنتقادات بخصوص تعثر اللغة على لسانه اعتذر مبرراً تعثر لغته بعدم تخصصه في اللغة العربية ومضت كثير من اللقاءات والمحاضرات والخطابات

على هذا الفقر الثقافي . ما يخشى منه في هذا الجو الملوّث ان تضع اللغة العربية في حياة العامة من الناس ويتحول المتمكنون من ادواتها الى اشخاص يحظون بالتقدير والاحترام اكثر من وجوب اداء ادوارهم النقدية البناءة لتصويب السنة المتكلمين بالعربية من الشعور بمسؤولية حمايتها لما تمثله من روح للهوية العربية الاسلامية لكي لا تحلّ اللغة المسموعة محل اللغة المكتوبة ، لما تخفيه اللغة المسموعة من قبح في شكل الكلمات تفضحه اللغة المكتوبة ، ولعل وسائل التواصل الاجتماعي تظهر اشكال هذا الخطر المحقق بسلامة اللغة عندما يتخاطب المستخدمون في مراسلاتهم بنصوص تكتب بلا ضوابط هي اقرب الى التصور الشخصي لنطقها

منها الى المعيار اللغوي لها ، فجاءت كلمة شكراً بالنون بدل تنوين الفتح وما الى ذلك .. مما يهدّد سلامة التفكير في تحديث البناء الإجتماعي واقتصاره على التكرار والتشابه في الخطوط العامة كما هو حال المجتمع خلال العقدين الماضيين ، ماضياً باتجاه لا يفضي الى ضوء في آخر الطريق ، يشمل هذا الواقع تفاصيل حياتنا من مأكّل وملبس وعادات وسلوكيات وأمنيات وعثرات . لا شك ان لهذا الواقع حضوره في المعتقدات والشعائر الدينية والأخلاق والتفكير والعبادات والعادات . يمضي هذا الواقع اليومي باتجاه تعويد الناس على القبول به كواقع اعتيادي بما له وما عليه .. هذا الإعتياد سيتحول الى تصورات مقبولة عند الأجيال الناشئة ، وبالتالي فهو

يهدّد المجتمع بالركود والخمول ، وهو خلاف ما يدعو اليه الدين الذي يقضي بتطور الانسان وتحضره وترقية التكوين الإنساني في الذات البشرية، فضلاً عن ان ذلك يتقاطع مع هدف خروج الإمام الحسين من المدينة الى كربلاء ، وسيغدو التفكير بتغيير الواقع امراً صعباً أو غريباً أو لا ضرورة له ، بعد ان تهيمن مشاهد الحياة الاجتماعية على طبيعة الناس ، وتجعلهم الى التغريب الثقافي اقرب منهم الى انعاش هويتهم الثقافية ، بحيث تصبح زيارة الأربعين حدثاً اجتماعياً دينياً مهماً ، لكنه قد لا يسهم في تغيير واقع الناس ، ولا يحثهم على إعادة تفكيرهم بأمورهم الخاصة ، خصوصاً وان منتجات التقنية المتطورة كالموبايل ووسائل التواصل

الإجتماعي والتطبيقات المتنوعة و..و .. توفر كثيراً من دعوات القبول بالجهاز في كل شيء في الطعام والشراب والأفكار .. فقد نجد كثيرين ينشغلون كل الإنشغال بالتحضير لمواكب النعي ومواكب طريق الزائرين انشغالاً يبرز فيه الطعام والشراب بشكل مميز جداً الى الحد الذي راح الناس يتنافسون فيما بينهم في ذلك . فهذا موكب يجهز (أكبر شواية لحم) ، وهناك موكب جاء بأحدث فرن كهربائي لانتاج الخبز، وموكب ثالث لم يترك لوناً من ألوان الطعام والحلوى إلا قدّمها للزائرين . ومع ان هذا الاهتمام مطلوب جداً ، فإن ما هو مطلوب بقدر لا يقل اهمية عنه هو صناعة وعي بين الزائرين بالشكل الذي تساهم فيه خطوات المشي الى سيد الشهداء في إعادة

ترتيب خطوات حياة الزائر اليومية ، والتفكير بهذه القضية يثيرها المعمّم والمتقف عبر منافذ ومواكب متنوعة ومنتشرة على طول الطريق تقدّم خدمات متنوعة ثقافياً مثل تنوع الطعام والشراب ، كأن توزع على الزائرين منشورات او كراسات صغيرة او كارتات مطبوعة بمواصفات جذابة تتناول اقوالاً لمدرسة أهل بيت النبوة فيما يخص ترتيب شؤون الأسرة وطريقة التعامل مع الآخرين ، وكيف يعيد الزائر ضبط ساعته البيولوجية والنفسية والسلوكية على صيحة الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم ، فمما تجدر الإشارة اليه هو ان زيارة الأربعين تمثل اليوم مظهراً اجتماعياً عفويّاً هو الأكبر حول العالم ، وهو ما يجعله يشكل مورداً

بشرياً طبيعياً ينجح استثماره في مشاريع إعادة بناء النفس وبناء الأسرة وبناء المجتمع وسط هذا الكم الكبير والخانق من ضغوطات الحياة اليومية الجديدة. فإذا نجحنا في تمكين الزائرين ثقافياً بحافز حب الإمام الحسين عليه السلام وبدافع نصرته في القرن الحالي بعد أكثر من ألف عام على مأساة الطف يوم العاشر في كربلاء ، فإننا سنكون مؤهلين إجتماعياً لقيام نظام متين من العمل الجماعي ووحدة الهدف واصالة الفكرة ، هذه المقومات من النادر ان تتوفر اليوم في اي مجتمع بعد ما أحدثته التطورات التقنية من دعوت الى الفردية والى الانعزالية والى التفاهة والانشغال بالأمور السطحية .

دور مراقدة أئمة اهل البيت عليهم السلام في نهضة المجتمع

منذ بدايات القرن الحادي والعشرين وبدافع من الحراك الإجتماعي في ظل الهوية الدينية الثقافية يبحث كثير من الناس عن اماكن يستشعرون معها الهدوء والطمأنينة ، من اجل الخروج بالنفس من دائرة الضغوطات وحالات الشد والتوتر ، وقد امتازت بلادنا بوجود مراقدة انبياء وائمة اهل البيت عليهم السلام ، كان لوجودها الاثر الكبير في تخفيف حدة التآزم التي فرضتها على المجتمع مجريات الأمور على إختلافها ما بين سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية . فضلا عن ان وجودها عزز ووثق اهمية الهوية الدينية في ثقافة المجتمع اوقات

الأزمات والشدائد وكانت كثيرة خلال العقدين الأخيرين ، ابرزها موجة الإرهاب التي ضربت الحياة الإجتماعية للناس وهدّدت النسيج الإجتماعي بالتمزق..

اظهر بعض الناس التزامه الاجتماعي بآداب زيارة المراقد والمساجد من حيث حاجته الى الراحة النفسية التي يعلم مسبقاً ان الجو الديني يوفرها له ، مع استمراره في حياته المادية والمهنية التي قد يفرغ محتواها أحيانا من أي التزام حقيقي ، من شأن ذلك ان يقصر الهوية الدينية على الجانب المعنوي دون جوانب الحياة الإجتماعية العملية الأخرى ، فقد سجّلت المشاهدات الحية مداراة بعض الناس للذوق العام ، حيث تظهر سيدة متعلمة بكامل حجابها في

أحد المزارات الدينية ، ثم شوهدت في مكان ترفيهي عائلي وقد تخلت عن حجابها.. في دراسة ميدانية وهكذا حالات بدت شخصيات بعض النسوة غير مضطربة فكرياً أو سلوكياً أو نفسياً ، لكنها كانت تلبي احتياجاتها النفسية البيولوجية ، فعندما شعرت بحاجتها الى الهدوء والسكينة قصدت أحد المزارات الدينية ووجدت انها تراعي الذوق العام وتعطي المكان زياً يناسب ظهورها فيه ، كي لا تكون موضع انتقاد ذاتها والآخرين فارتدت الحجاب وقضت ما رأيته وقتاً كافياً للراحة وصفاء الروح وهدوء النفس والخشوع . وعندما احتاجت الى الترفيه قصدت مكاناً يتلاءم مع حاجتها في إطار إجتماعي أخلاقي متمدّن، فدخلت منتزهاً أو منتجعاً عاماً ورأت ان تظهر بما

يناسب المكان وما يبعث في نفسها البهجة والسرور والظهور ، فهي تجد نفسها موفقة في اختيارها الزي المحتشم الذي يتلاءم مع طبيعة جو المكان الديني الذي تقصده ، كما رأت انها كانت موفقة في اختيار نوع الملابس والهيئة التي ظهرت بها في مكان عائلي ترفيحي ..

هنا تأتي اهمية صناعة الوعي في المجتمع من اجل تمكينه ثقافياً لكي يعرف الفرد انه مسؤول حيال كل تصرف يتصرفه وحيال كل فكرة تراوده فيذعن لها، وان عليه ان يضع معاييراً لهذا السلوك ولتلك الفكرة، ولن يجد خيراً من مدرسة آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، تقدم له دروساً في الوعي واليقظة والإصلاح ، حيث ان تهيئة الجو الملائم

لراحة النفس وبث الطمأنينة فيها هو الخطوة الضرورية الأولى في الإستعداد لمرحلة تلقي دروس وعي الواقع . لذا تأتي أهمية دمج الدراسات الانثروبولوجية في ثقافة واقع المجتمع كضرورة ملحة في هذا القرن الجديد ، لكي لا تتحول فيه مراقدا الأئمة عليهم السلام الى أماكن تراثية يقصدها الزائر طلباً لراحة النفس المنهكة من زحمة مشاغل ومشاكل الحياة اليومية .

أثر الوضع الاقتصادي في هوية الفرد والمجتمع

يسهم الوضع الإقتصادي في فرض أوضاع قد تبدو غريبة ، أو مريبة ، أو مقلقة ، أو تدعو للشفقة . أحياناً قد تدعو للقلق خصوصاً عندما يمر المجتمع

بظروف تغيير يُسهم تردّي الحال الإداري للبلاد في ترسيخه في الحياة الإجتماعية ، فعندما لا توفق ادارة البلاد الى النظر في واقع المجتمع من خلال طبيعته وهويته تشتد على الناس ظروف الحياة الجديدة اقتصادياً وثقافياً ، فظروف العيش من جهة ، والنمو السكاني من جهة اخرى ، واحتياجات المنظومة البيولوجية للجسم من جهة ثالثة قد فرضت هذه الظروف مجتمعة نمطاً من انماط العيش يقتضي بموجبه وجود اكثر من عائلة في بيت واحد ، فالاولاد يكبرون ولا يمكن بحال من الأحوال تجاهل احتياجات منظوماتهم الجسمية والنفسية ، ربما يمكن تأجيلها ، لكن بلا شك تفرض نفسها وتلح في فترة من الفترات ، ولأننا مجتمع ديني ، فهو يجتهد لكي

لا يفلت زمام الأمور ويخرج بعيداً عن الإطار الأخلاقي الديني الذي ترتضيه الأعراف والتقاليد ويحاكي النفوس ، فقد كان الأخوة يتزوجون في البيت الواحد ، ولكون الحالة المعاشية لا تعطي أملاً قريباً في إنفراج يحدث معه إستقلال كل أسرة على حدة ، فقد واجهت كثير من الأسر مشكلة الإلتزام الديني بحجاب زوجة الإبن من إخوة زوجها ، فمن جهة تبذل الأسرة كل جهدها كي تبقى هويتها الدينية فاعلة في ثقافتها الإجتماعية من خلال تأثرها واقتدائها بسيرة أئمة اهل بيت النبوة . ومن جهة أخرى لا تريد لهذه الهوية الدينية أن تتحول الى إلزام مفروض يتحول الى قيد منقّر ، مراعاة لمشاعر زوجة الإبن التي من حقها أن تتحرك داخل البيت

بحرية أدبية كافية لمنع الضغط النفسي.. فعندما يفرض التشريع الديني على المرأة أن تحتجب من إخوة زوجها ، ويفرض واقع الأسرة المعاشي أن يعيش الأخوة مع بعضهم بما يترتب على هذا الجو الأسري من مراعاة ومدارة لنفوس الموجودين في البيت لتحاشي وقوع المشاكل ومضاعفات التقيد ، فقد أجازت بعض الأسر لزوجات الإبن أن تخلع حجابها أمام إخوة زوجها كونهم اخوتها بحكم الواقع الذي تعيشه الأسرة ، مع الإبقاء على حجابها خارج المنزل. فهل يترك ذلك أثره السلبي على الهوية الدينية ؟

هل يؤثر ذلك سلباً على بناء الشخصية ؟

ماذا عن التعبير الذاتي للفرد عن طبيعته الجديدة ؟
هل يشعر بحاجته الى إعادة صياغة الهوية الدينية
في ظل ظروف الواقع الحياتي الذي أفرزته
التغيرات التي طرأت على المجتمع ؟

على كثرة ما الم بالمجتمع العراقي من صعوبات
وشدائد ومعاناة ترتبت على دخول منتجات تقنية
متطورة بعيداً عن التوجيه والإرشاد وثقافة الإستخدام
لتلك المنتوجات التي شدّت اليها جيل الشباب
واصبحت ضرورة ملحة في حياتهم ومكمن
خطورتها في انها صارت مصدر تزويدهم بما
يحتاجونه لبناء الشخصية من لغة تخاطب ومن آداب
تعامل . لذا وجب تحريك هويتنا الثقافية القائمة على
أركان أخلاقية ودينية وإنسانية واعية لتحريك نهضة

المجتمع باتجاه الحفاظ على الهوية الدينية التي هي ضرورة وحاجة اساسية تتطلبها حياة الفرد والمجتمع في مرحلة أو مراحل الحياة الهادفة ، ولعل من الخطأ إعتقاد بعض الناس ان السعادة والفرح بالمفهوم المادي هي هدف أو غاية يسعون اليها في حياتهم. وفي الحقيقة العلمية فإن العالم المادي عالم ميكانيكي حركي إستهلاكي ، وهو عالم متعب ولا تلتقي الراحة بالتعب الا من خلال الدين عبر الروح التي تحلّ في الأبدان فتحرّكها صوب الهدف المرجو من الجسم البشري كوسيلة.. ولنا في التاريخ الاسلامي في بداية الدعوة المحمدية قصة لرجلين في تجربتين مختلفتين في البيئة ذاتها والظروف ذاتها ، في مجتمع واحد هو مجتمع قريش..

كان (بلال الحبشي) عبداً مملوكاً وكذلك كان حال (وحشي) .. سمع (بلال) أحاديث أسياده عن الدين الجديد كما سمعها (وحشي) ، لكن ما دار في تفكير (بلال) كان مختلفاً عما دار في تفكير (وحشي) .. فقد اختار (بلال) ان يبحث عن ذاته وهويته الجديدة التي حفزته اليها دعوة الدين الجديد وكلماته حيث الحرية والكرامة الانسانية ، فوجد نفسه ملتحقاً باتباع هذا الدين ، وهو يعلم انه يعرّض نفسه بهذه الخطوة الى خطر حقيقي واقع به هو الموت ، لكنه مع وقوع هذا الإحتمال في نفسه لم يتردد ، بينما بقي (وحشي) في خدمة أسياده واختار ان يشتري حريته مقابل رمية دعتة اليها (هند) يصوّبها الى صدر سيد الشهداء (حمزة) ..

تعرّض (بلال) الى تعذيب بشع لم يتعرض لمثله (وحشي) ، لكن (بلال) حصل على الحرية التي يختلف طعمها عن الحرية التي نالها (وحشي) بقتله سيد الشهداء (حمزة) والتي ظل نادماً عليها . على الرغم من ان (وحشي) دخل الإسلام ، لكن التاريخ يسجل بوناً واضحاً بين دخول (بلال) الى الإسلام ودخول (وحشي) اليه .

كذلك ما حصل قبل ويوم الطف من مواقف أثبت اصحابها قدرات فائقة في اكتشاف الهوية الانسانية ، وليس ادلّ على ذلك من موقف (الحر الرياحي) الأمر على الف فارس ، فقد ترك موقعه القيادي في معسكر يزيد والتحق يطلب العفو من الحسين على ما كان يريد ان يفعله .

اننا بتفعيل حضور هذه الأحداث والشخصيات حضوراً عملياً في واقعنا وليس مجرد سرد تاريخي، سنتمكن من تحفيز الناس على النهضة وتغيير الواقع وإصلاحه من خلال توظيف الدراسات الانثروبولوجية في إثارة اسئلة من قبيل: ما مدى قدرة الدين في القرن الواحد والعشرين على الاقتراب من واقع الناس وتفاصيل حياتهم اليومية التي لم يعد ممكناً فيها تجاوز المعاناة المستمرة والمتراكمة وتعقيداتها وظروف المعيشة التي تزداد مع ازدياد النمو السكاني ونقصان الموارد وفرص العمل ؟

هل يستطيع الدين انقاذ المجتمع من الوعي السلبي المضطرب الذي تفرضه على واقعه ظروف الحياة اليومية ؟

هل سيؤثر التكرار اليومي للمشاكل على علاقة الدين بالمجتمع ؟ ما هو شكل ذلك التأثير مستقبلاً ؟

هل تتحول زيارة الأربعين الى نشاط تراثي شعبي ديني اجتماعي مفرغ من وعي النهضة الحسينية ؟

يقول عالم النفس الدنماركي (أريكسون) " ان ازمة الهوية من أخطر الأزمات التي تمر بها الذات الانسانية".

ويقول الفيلسوف (لافل) (الإنسان الي يكتشف هويته هو الإنسان الذي يجد بحق الإجابة الحاسمة عن أهم مشكلات الوجود الميتافيزيقية).

ماذا لو تمكن المجتمع من اعتياد عدم التزامه ببعض الثوابت الدينية والتشريعات ؟..

هل سيؤثر هذا في تفاصيل الهوية الدينية الثقافية
للمجتمع والفرد ؟

هل اننا مقبلون على نظام جديد للهوية الدينية
الاجتماعية يراعي ظروف الحياة المعيشية
والمعرفية والإدراكية للفرد ؟ ويقدم حلاً مقبولة
وان كانت تفتقر الى الاصول والمنطق والصواب ..
واذا حدث هذا هل يعد تغييراً دينياً ام تنازلاً عن
مبادئ وقيم أرسنها نهضة الحسين عليه السلام ؟

ماذا لو فرض واقع الحال نفسه على الهوية الدينية
واجاز بعض الممنوعات دينياً باسم الضرورة
الحياتية ؟

من الأمور المهمة التي علينا مراعاتها في ميدان الدراسة الانثروبولوجية لطقوس عاشوراء ان نفكر بكل قضايا المجتمع في صميم الهدف الاصلاحي الي دعا اليه الإمام الحسين ، فنطرح مثلاً مشاكل الناس الشخصية والمشاكل الأسرية ، ليس في جانبها الاجتماعي وحسب وانما في جانبها الاقتصادي كذلك، فالعامل الاقتصادي عامل مهم جداً في بناء المجتمع وإعادة تقييمه على وفق المتغيرات العالمية التي نعيشها . لذا ندعو الى توظيف الدراسات الانثروبولوجية في هكذا مجالات وفي اجواء الزيارة حيث الجو الروحي الذي يمكنه ان يلهم مشاريع النهضة بعداً انسانياً متواصلاً لا ينقطع ولا يتوقف بعد انتهاء مراسيم الزيارة ، فيمكن مثلاً إطلاق

مشاريع لتطوير مصادر دخل العوائل بتأسيس صناديق وأسهم متاحة لمشاركة الزائرين الراغبين في ذلك ، كونه عمل يخدم زوار الإمام ومشروع نهضته ، فتغيير حال نفس واحدة الى الأفضل يعادل اصلاح احوال الناس جميعاً . فضلاً عن اهمية إثارة فكرة العمل الجماعي في كل مجالات الحياة بالطريقة ذاتها وبالدافع ذاته الذي يجتمع عليه خدام المواكب الحسينية وهم يصلون الليل بالنهار في اعطاء صورة مشرقة ومشرقة لطقوس عاشوراء وزيارة الأربعين، فهم يبذلون الغالي والنفيس في سبيل خدمة الزائرين، وقد سُجّلت آراء كثيرين ممن عايشوا هذا الحدث التاريخي الضخم من خارج العراق فوجدوا فيه انتعاشاً روحياً طرياً وفاعلاً لا يكاد يتحقق في مشهد

أو مناسبة أخرى . ودون كثير من المستشرقين والأجانب إنطباعاتهم عن القضية الحسينية والمشروع الإصلاحي الإنساني الوتر في تاريخ البشرية .

يقول المؤرخ والفيلسوف الاسكتلندي (توماس كارليل) (ان افضل درس تعلمناه من مأساة كربلاء هو ان الحسين وانصاره كان ايمانهم مطلقاً بالله ، وقد برهنوا بفعلهم على ان التفوق العددي لا اهمية له عندما تواجه الروح بالجسد).

وقال المفكر المسيحي انطوان بارا (لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل ارض راية ، ولأقمنا له في كل بقعة منبراً ، ولدعونا الناس الى المسيحية باسم الحسين).

والمصلح الديني المصري الشيخ محمد عبده يقول:
(ان ثورة الحسين كانت بحق ثورة اصلاحية هدفها
الأساسي تقويم الانحراف الذي اصاب الخلافة
الإسلامية).

كلمات وافكار

في كتابه (الانسان بين المظهر والجوهر) يقول
الفيلسوف الالماني وعالم النفس (إيريك فروم) (يجب
ان يكون مفهوماً بكل وضوح ان الحرية لا تعني ترك
الحبل على الغارب ، او اطلاق العنان للأفعال
الاعتباطية ، فتركيب الجنس البشري ، شأنه شأن اي
جنس آخر ، له خصوصيته . وهو لا يستطيع ان ينمو
إلا وفق ما يتطلبه هذا التركيب من معايير ، ومن ثم

لا تعني حرية التحرر من كل المبادئ المرشدة ،
وانما تعني حرية من اجل النمو وفقاً لقوانين بناء
الوجود الإنساني ، أي غير مفروضة على الطبيعة
البشرية من خارجها . انها تعني احترام القوانين التي
تحكم النمو الإنساني الأمثل).

إضطراب المعنى من شأنه ان يتسبب في ارباك
استقرار النفس ، فاذا اصبحت النفس في اطمئنانها ،
اعتلت صحة الضمير ودخل مرحلة الخدر ، فتتنشط
الانا بسبب ذلك الخدر ، وعندما تنشط الانا بدوافع
مضطربة مالت النفس الى الهوى ، واذا مالت النفس
الى الهوى ، قبل العقل بالتعريفات المحورة لمفاهيم
مثل الحق والباطل ، والخير والشر ، والصح
والخطأ، مما يجعل الشخص يبرر لنفسه ما يفعل أياً

كانت تلك الأفعال ، وقد قرأنا في التاريخ كيف برر ذلك المأفون فعلته القبيحة وهو ينتزع قرطاً من اذن طفلة من عيال الحسين بعد المعركة ، وحين لأمه من لأمه على سوء فعلته ، قال لو انه لم يفعل ما فعل ، لفعله غيره !!

ان تغيير أو تعقيب مفاهيم وإحلال أخرى بديلاً عنها، يمكن أن يسهم في تلويث الجو العام للمجتمع فيسهل بذلك السيطرة على أفكارهم والتحكم بمشاعرهم والتدخل في اتخاذهم لقراراتهم .

بدون إيمان لا تستطيع الحياة أن تستمر ، بل انها تصاب بالعقم . والإنسان من غير حياة يصاب بالموت البطيء ، والموت البطيء يحوّل الفرد الى كتلة بشرية فاقدة للروح . واذا افتقد الانسان الروح،

تساوت عنده "الانوار والظلم" . عندها قد لا يفرق بين نفسه وبين الانسان الآلي ، بل لعله يشعر بأنه أقل قيمة من الآلي الذكي الذي تعمل مشاريع الذكاء الاصطناعي على تطويره ليفوق قدرة الف دماغ بشري .

يدرك كثيرون بفطرتهم ان طريق الخير هو الطريق الأفضل ، لكن قليلين هم الذين يعرفون حقيقة ذلك ، فطريق الحق هو طريق الخير ، وهو طريق موحش كما قال سيد البلغاء والمتكلمين ، وقدرة المضي في هكذا طريق تحتاج الى محتوى نفسي ممتلئ بمعرفة واعية ، وإلا كانت النفس الفارغة وراء انحراف كثيرين وضياعهم .

إحدى ابرز الدروس العظيمة التي يستفيد بها القارئ والدارس والباحث في مجال التاريخ ، هي ان الظلم لم يتمكن من السيطرة على الانسان بشكل مطلق سواء كان ذلك بممانعة الانسان او بتدخل ظروف طبيعية ، او ظروف اجتماعية ، او قوى غيبية ، كما حصل على ايدي الأنبياء والمرسلين .. المهم ان قبضة الظلم مهما كانت محكمة ، فإنها تفلت أمام قوة الحرية والإرادة الذاتية التي يسهم الظلم نفسه في تكوينها في داخل الانسان . وهذا ما نستفيدة من حركة الإمام الحسين في مشوار دعوته الى الإصلاح. وهو ما نحتاج اليوم ان نؤكد عملياً في زمن الانقلاب على المعنى .

كيف نقرأ أحداث الماضي بلغة العصر

تمثل الثورة الفرنسية (1789 – 1799) حدثاً مهماً جداً في تطور العصر الحديث ، تلتها الثورة الصناعية ، ثم الثورة العلمية الثقافية .

تبنت الثورة الفرنسية الإهتمام بكرامة الإنسان وحريته وانسانيته وحثت على التطور في ميادين الحياة ، وبمجيئ الثورة الصناعية إنتقل العالم الى عصر الآلات والإنتاج والإقتصاد والسلع وتوظيف موارد الطبيعة والموارد البشرية لمزيد من الصناعات المتطورة . ازدهر الإقتصاد في البلدان الصناعية وازدادت ارباح المصانع والدول الكبرى. حفزهم هذا النمو الإقتصادي على التفكير بتوسيع الرقعة الجغرافية لمشاريع تلك الدول الكبرى ، فنمت

فكرة الإستعمار وضم الدول ذات الموارد الطبيعية الى حكمها ، ومر العالم بفترات زمنية لا تزال صفحات التاريخ تروي كثيراً من مآسيها واحداثها المروعة والحافلة بقصص البطولات والتضحية والفداء التي قام بها ابناء البلدان المستعمرة كالعراق ومصر وسوريا ولبنان وغيرها ، ثم انتقلت علاقة الإستعمار بالدول المحررة الى مرحلة جديدة يتدخل فيها رأس المال بشكل كبير في رسم خرائط ومناهج تلك العلاقات التي انطوت على كثير من مشاريع الإستثمار والشركات عابرة القارات والسوق المفتوح والسلع العالمية والإستهلاك البشري الضخم ، فجاءت ثورة العلم والثقافة ليدخل العالم مرحلة تسليع خطيرة وكبيرة ببرامجيات عالية الدقة ، فائقة

السرعة ، وتطبيقات ذكية قادرة على التحكم بتفاصيل حياة كل مستخدميه ، بل وقادرة على التدخل والتحكم في اتخاذ القرارات الشخصية و احياناً العامة منها ، ثم توقع الخبراء ان هذه التقنية ستتدخل في المستقبل الى الحد الذي تقضي فيه على انسانية الانسان .

اصبحت المعلومات والمعرفة هي المادة الخام لعصر الثورة العلمية الثقافية ، ومضت صراعات الدول الكبرى على إمتلاك هذا السلاح الجديد الذي يراد باستخدامه صهر الثقافات العالمية في بوتقة نظام عالمي واحد يحمل عنوان " أمركة العالم ثقافياً" ومشاريع تكنولوجيا المعلومات ، حيث تتولى الشركات الكبرى المنتجة للتقنية الرقمية وبرعاية

الدول الكبرى التي كانت دولاً مستعمرة بالأمس ، تتولى اليوم إدارة العالم من خلال شبكة الانترنت وتطبيقات التقنية الرقمية ومشاريع الذكاء الاصطناعي . يدعونا هذا التطور العلمي والتقني والثقافي العالمي في القرون الثلاثة الأخيرة الى إعادة قراءة تاريخنا وتراثنا الذي نعدّه هويتنا المعاصرة ، ونهضة الحسين عليه السلام هي من بين أهم تلك الموارد والأحداث التاريخية والسمات الأبرز في هويتنا الدينية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية المعاصرة ، فإذا عدنا الى أحداث القرن الهجري الأول ، ووقفنا عند معركة الطف ، سنجد ان تبايناً ملحوظاً بين عدد وعدة جيش الإمام الحسين ، وعدد وعدة جيش يزيد ، ففي معسكر الحسين لا يتجاوز

عدد المقاتلين المئة ، في حين يحدثنا التاريخ عن آلاف في معسكر يزيد .. كما ان الماكنة الإعلامية لمعسكر يزيد كانت اقوى مما هي عليه في معسكر الحسين عليه السلام . يضاف الى ذلك ان الإمام كان على علم بكل هذا التفاوت ، ومع علمه هذا واصل التضحية والعطاء .

بدون وعي عميق يمكن أن يقع العقل الإنسان تحت تأثير قوة من القوى ، ينتج عنها موقفاً ، أو رأياً قائماً على بعدٍ واحدٍ ، أو رؤيةٍ من زاويةٍ واحدةٍ ، وهو أمر لا يُساعد على تكوين تصوّر واضحٍ للأحداث ، ولعل هذا يتضح فيما قدّمه بعض الباحثين في قراءاتهم للنهضة الحسينية ، فالمستشرق الفرنسي (سيدو) رأى ان الحسين عليه السلام لم يكن شجاعاً

كأبيه .. ورأى (ابن خلدون) ان حركة الحسين تمت في ضوء ثنائية أهلية الحسين لمواجهة فسق يزيد ، وقدرته على تحقيق ذلك . يرى ابن خلدون ان الحسين عليه السلام أخطأ في تقدير الثانية ، فهو يقول: (وأما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوخته فأما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة ، واما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لأن عصبية مُضر كانت في قريش وعصبية عبد مناف كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نُسي ذلك أو الاسلام لما اشتغل الناس من الذهول بالخوارق

وامر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فأغفلوا
 أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها
 ونُسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية
 والدفاع ينتفع بها في إقامة الدين وجهاد المشركين
 والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر
 النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء
 للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت
 واصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان
 لهم من ذلك قبل فقد تبين لك غلط الحسين إلا انه في
 امر دنيوي لا يضره الغلط فيه واما الحكم الشرعي
 فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على
 ذلك (1).

(1) مقدمة ابن خلدون - ط 4 - دار احياء التراث - بيروت -

إذا أخذنا بعين الاعتبار ان الإمام الحسين عليه السلام كان واعياً ومدركاً لما ستؤول اليه الحال في صبيحة يوم العاشر وقد أعلن في أكثر من موقف عن ذلك الوعي ، فقد حمل أصحابه ليلة المعركة على مغادرة المكان كي لا يكونوا مضطرين لتعريض حياتهم الى الموت بعد إنقشاع الظلام . ثم تبين الأمر بجلاء أكبر في صبيحة يوم العاشر ، وبدأت المعركة التي كانت السيوف قوامها ، وكانت أعداد المقاتلين وقودها ، وما ان استشهد أكثر أصحاب الإمام حتى أطلق عليه السلام صيحته (هل من ناصر ينصرنا) ، فإذا اخذنا بعين الاعتبار قصور أدوات القرن الهجري الأول عن قدرتها على قلب معادلة المعركة لصالح الإمام فضلاً عن كونه عليه السلام كان قبل الطف مقاتلاً

في جيش أبيه ، وكان قائداً ، وهذا يعني انه ملم بأمور الحرب وإدارة المعارك ، فضلاً عن وعيه العميق بالبعدين المادي والروحي ، لذلك نفهم من صيحته عليه السلام انه بعث برسالة الى الأجيال عبر الزمن مفادها ان الجزء المخصص للمعركة الأكبر سينتهي في ضحى العاشر من محرم وعلى القادمين بعد الحسين وصحبه أن يستعدوا للمعركة الأكبر التي هي معركة تطور الإنسان وتطور ثقافته وتطور وعيه ، واقتضت الضرورة أن تكون تلك الدماء الزاكية وتلك الأرواح الطاهرة وتلك الشخصيات العظيمة وقوداً يمدّ الأجيال بطاقة النهضة كي يشعلوا فتيلها في أزمانهم ، وهذا من دواعي تواصل الناس جيلاً بعد جيل على إحياء ذكرى تلك الواقعة الألمية والمشى

مسافات طويلة جداً باتجاه كربلاء في يوم الأربعين والناس يرددون (لبيك يا حسين) . إذن احياء طقوس عاشوراء وزيارة الأربعين تندرج ضمن الضرورات الملحة لحاجة ذلك المجتمع الى تغيير واقعه وظروف حياته وطرقها . لذا نجد من الضروري ومن واقع الحياة العملي الناس أن ندرس الثقافات الشعبية والسلوكيات العفوية والدوافع الفطرية للناس ، دراسة انثروبولوجية لأجل فهم تعقيدات حياة الناس وطرق تعاملهم فيما بينهم ومع ظروف حياتهم ، من أجل تطوير تلك الطرق وإيجاد علاجات للمشاكل الاجتماعية ، لكي لا يشعر زائر الحسين عليه السلام ان زيارة الأربعين هي رحلة إيمانية ، روحانية ، تأملية ، عقائدية فقط . ففي هذا القدر من الفهم لا

يتحقق هدف الصيحة الحسينية المدوية تلك ، إلا اذا ادرك الزائر الحسيني ان زيارة الاربعين هي تلبية واعية موضوعية لصيحة الإمام، وليست الزيارة محظ استحضار للذكرى وإثبات للنفس انها على ذلك العهد . من شأن الانثروبولوجيا إذا وظفت ثقافياً ان تزيد من ارتباط المؤمن بإيمانه وبعقيدته ارتباطاً واعياً عملياً وموضوعياً وليس ارتباطاً عاطفياً عفوياً كما هو حال كثيرين .

يرى الانثروبولوجي الامريكي " كارلتون كون Carleton Coon " ان الانثروبولوجيا ومن خلال الثقافة تضع امام الانسان مرآة تمنحه صورة اوضح لنفسه وأقرانه ، تسهم في فهم نشأة المجتمع وطبيعة وظائفه ومنظّماته .

تحمل الزيارة الأربعينية في مضامينها معاني أصيلة لمفردات مثل الانسانية والسلام والتضحية الشهادة والقيم والدين الحق والحرية المسؤولية والوعي الناضج والثقافة المجتمعية .

يتم إعادة تعريف هذه المفردات اليوم من جديد عبر لغة رقمية تكنولوجية ذكية تقدم للمستخدمين تعريفات تلائم ظروف حياتهم الجديدة وان كانت لا تتلاءم مع المنطق ومنظومة القيم والاخلاق والدين ، وقد بدا لنا كيف ان مفهوم الحرية اخذ مساحة مرنة وفهماً مطاطاً سمح لمعتقديه بالتصرف وممارسة السلوك الذي يرونه يناسبهم ويساعدهم على عرض افكارهم ونشر آرائهم ، مهما كانت تلك الافكار والآراء ضارة او غير نافعة .

يقول الفيلسوف " سارتر " (ان على الانسان ان لا يقف عند حد معين بل يتقدم دائماً ويقتحم كل الحدود ويغيّر اطروحاته ، فإذا وصل الى هدف ، تجاوزه الى آخر ، وهكذا يمضي الى الأمام). (1)

يقول العالم الفرنسي إيميل دوركهايم (لا جدال ان المجتمع يمتلك كل ما هو ضروري لإثارة الإحساس الديني في العقول بالقوة التي يمتلكها عليهم لأنه بالنسبة الى أعضائه كالإله لعابديه)..

1- كتاب انسنه الحياة في الاسلام – مرتضى مطهري – ص48

وليست القوة الدينية إلا القوة الجماعية المجهولة
للعشيرة ..) (1)

تشهد أحداث القرن الواحد والعشرين تغيرات سريعة
في متطلبات الحياة وتطور التقنيات والتطبيقات
الذكية ووسائل التواصل . المقلق في هذا التطور
المتسارع انه لا يعطي المستخدم وقتاً كافياً لاستيعابه
ومعرفة ابعاده واهدافه ، لذا اخذ يتعذر على كثير من
الشباب التمكن من صياغة هوياتهم الثقافية المعاصرة
فتشوشت امام بعضهم الصورة وتشتت بهم السبل
التي يظنونها تساعدهم على إيجاد تنسيق مشترك بين

1- كتاب دراسة الانثروبولوجيا – المفهوم والتاريخ – تأليف

Pertti J Pelto - ترجمة كاظم سعد الدين – دار الحكمة – بغداد

2010 ط1 ص48

التراث والمعاصرة لا يفقدهم فاعلية وضرورة استمرارهم في عصر تقني رقمي ، كما لا ينسيهم ماضيهم المفعم بالبطولة والمأساة والامل والألم.

هذه كلها طباع بشرية لا يستطيع الإنسان أن يعيش حياته بعيداً عن وجودها فيها . فإذا فقد الإنسان الوقت الكافي والضروري لتنظيم هويته الثقافية ، ضعفت عنده حاسة الإنسانية ، وبدأ بالإنجرار التدريجي باتجاه الوجود البشري المادي المجرد الخالي من الشعور بالقيمة الفكرية للعقل ، وبالقيمة الروحية للنفس . فإذا تعذر على الإنسان ذلك ، لا يبقى أمامه سوى ان يعدّ نفسه واحداً من بين اعداد كبيرة من الناس في مجتمع يملي عليهم انماطاً معيشية معينة وظروف حياتية مقولبة على وفق معادلة الانتاج

والإستهلاك المالي تشكل الهوية الغالبة لحياة العصر
لمجتمع معين في مكان معين وفي ظروف معينة ،
وبذلك تقلّ درجة تفاعل الإنسان مع ذاته فيقل ادائه
على الصعيد الفكري ونقد الذات، فيكون أقرب الى
التقليد منه الى الإبداع . من دلالات هذا التردّي في
التكوين الذاتي للفرد في هذه الأزمنة المتأخرة ، هو
عدم شعور كثيرين بالمسؤولية العامة تجاه الآخر
وتجاه النفس ، بالتالي عدم الإكتراث لقيمة الوقت
بسبب شعورهم بتسربه من بين ايديهم وأمام انظارهم
دون مقدرة منهم على التحكم به والإمساك بزمامه ،
مما يولد عند بعضهم شعوراً بالغبن وبضياع العمر
دون جدوى ، مما حملهم على تقليص حجم وجودهم
في الحياة الى الحد الذي يتحقق معه استمرارهم في

العيش وان كان دون عطاء ، حسبه ان يكون عيشاً
تلتقي فيه مستلزمات توازن المنظومة الجسمية
باحياجاتها السلوكية والعاطفية والغريزية
والاخلاقية .

ان شعور الشباب بالذهول والتعجب والانبهار
بالمنجز الغربي التقني المتطور ، جعله يسمح للقيم
الغربية وللثقافة الغربية ان تتحرك صوبه ، فمال نفر
اليها ووجدوا في التغريب الثقافي ضرورة مفروضة.
هنا ظهرت مشكلة تغريب القيم ، وظهر معها صراع
بين نوعين من القيم : قيم قديمة تضمنتها احداث
التاريخ ، وقيم جديدة تفرض حضورها من خلال
شبكات التواصل ومواقع الانترنت ومنتديات الثقافة
وتطبيقات تكنولوجية متنوعة تقدّم مختلف انواع

المعارف .. هنا ظهرت مشكلة تكوين الهوية لدى جيل الشباب المعاصر ، خصوصاً عندما نأخذ بنظر الاعتبار الظروف الصعبة والعصيبة التي مرت بها مجتمعات كثيرة حول العالم في العقدين الاخيرين منذ بداية القرن الواحد والعشرين ، منها ما كان عنيفاً وعميقاً لامس بقوة عناصر الفطرة النقية لمنظومة القيم والأخلاق فحصلت فوضى وعم اضطراب وتسلسل القلق الى النفوس فظهرت طباع مثل الانانية كأحد اخطر اعراض هذه التغيرات ، ومع ان الحس الجمعي الانساني لا يزال يشغل مساحات كبيرة في فئات المجتمع ، إلا ان السلبيات بدأت تظهر بوضوح أيضاً.

في كتابه (الدين والتحليل النفسي) يقول " إيريك فروم" في نهاية الفصل الأول : (واود ان اثبت في هذه الصفحات انه ليس صحيحاً ان علينا التنازل عن اهتمامنا بالروح إذا كنا لا نقبل عقائد الدين ، وذلك ان المحلل النفسي في وضع يسمح له بدراسة الانسان عبر الدين وعبر نسق الرمز اللادينية symbol systems وهو يرى ان المسألة ليست هي عودة الانسان الى الدين والايمان بالله بل هي ان يحيا في الحب ويفكر في الحقيقة . فإذا كان يفعل ذلك، كانت نسق الرمز التي يستخدمها ذات اهمية ثانوية ، واذا لم يفعل ذلك ، لم تكن ذات اهمية على الاطلاق) (1)

1- الدين والتحليل النفسي- ايرك فروم – ترجمة فؤاد كامل – مكتبة

غريب – مصر – ص 14

من الصعوبات التي يواجهها مجتمعنا اليوم ، كوريث جيد لحضارة وتراث اسلامي وثقافي عظيم ، انه يعيش ضرورة التغيير في ظل عصر التقدم العلمي المعاصر ، وفي الوقت ذاته يريد ان يبقي على المبادئ والقيم التي أرسنها خطوات الأقدمين في طريق تحرير الانسان بـ " لا" التي اطلقها الإمام الحسين في القرن الهجري الأول ، التي كلفت الإمام عليه السلام نهراً من التضحية والعطاء ، لا يزال جارياً في عروق الحياة ، فالمجتمع اليوم يكتسب مهارات جديدة ، وصفات جديدة ، وطباع جديدة . ولكي لا تصطبغ حياة الناس بصبغة لا علاقة لها بذلك الموروث الثقافي الحضاري الانساني ، تأتي اهمية التأكيد على الهوية الحسينية في تفاصيل حياتنا.

فالثقافة المعاصرة كنشاط ادبي وفني لم توفق الى صناعة وعي قادر على النهوض بالواقع على الرغم من ان التاريخ قدّم لنا مقومات النهوض وهو يوثق احداث كربلاء وحركة الإمام الحسين عليه السلام ، لذا لو تمكنا من تفعيل الثقافة انثروبولوجياً لوفقنا الى صناعة هذا الوعي الذي بات ضرورياً في زمن التزييف والتحريف بمساعدة التقنية الذكية . يؤكد الانثروبولوجي الامريكي (مالينوفسكي) انه لا يمكن فهم ثقافة جماعة معينة فهماً عميقاً ما لم يعيش الباحث حياة تلك الجماعة معاشة ميدانية بتفاصيلها المتنوعة والدقيقة .

تظهر هذه الأيام محاولات لتغيير التصور الاجتماعي للدين عند الناس عبر تطبيقات ومقاطع فيديو ولقاءات

قصيرة تتناولها وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي تعمل على اختصار المسافة بين الدين والانسان بغية اخراج المستمع والمشاهد والمتابع عن المؤلف والمتعارف عليه من عبادات وعادات وطقوس.

لقد اثبت الناس في السنوات الاخيرة قدرتهم على اعطاء وجه مشرق للإنسانية ولروح المحبة والسلام في اجواء التنوع المربك أحياناً للتكوين الاجتماعي ، ففي زيارة الأربعين وعلى الرغم من الظروف الأمنية المتردية فترات الارهاب والتعصب الطائفي، ثم فترات الاستقرار ودخول اعداد كبيرة من الزائرين من مختلف انحاء العالم ، اظهر العراقيون همّة عالية وقدموا عطاءً مشرقاً يحفز على استثماره لإصلاح الواقع ، فقد قدم العراقيون صوراً من

المتعذر ان يتمكن مجتمع آخر حول العالم من تقديمها، وهذا العطاء وهذه الهمة تحفز الباحث الانثروبولوجي على التفكير بطرق حديثة لتطوير حياة أولئك الزائرين ومعالجة مشاكلهم الاجتماعية من خلال ذلك الحب الحسيني الذي جمعهم على اختلاف ظروفهم وامكاناتهم وقدراتهم .

في كتابه (الهوية والعنف) يقول الفيلسوف وعالم الاقتصاد الهندي (أمارتيا صن) : (فإن أولئك الذين لا يستطيعون رؤية الفرق بين ان يكون الإنسان مسلماً وان يكون إسلامي الهوية يمكن ان يشعروا بالرغبة في ان يسألوا : " ما الرأي الصحيح وفقاً للإسلام ؟ هل الإسلام يؤيد التسامح ، ام لا يؤيده ؟ ما هو في الواقع ؟ والقضية التي يجب ان نواجهها

في البداية هنا ليست ما الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال ؟ بل هل السؤال نفسه صحيح ؟ ان كون الإنسان مسلماً ليس هوية تغطي على ما عداها بحيث تقرر كل شيء يؤمن به (1)

لكل انسان قوى داخلية تتحرك فيه متى ما وجدت طاقة ايجابية كافية تنعش عنده الطموح ، فإذا انتعش الطموح اشتغلت منظومة الجسم الحسية والعقلية ، ومتى ما زودت القوى الداخلية للشخص بطاقة سلبية، ظهرت عنده حالة الإحباط التي قد تلبث قليلاً وتنتهي ، او تبقى مدة اطول ، الذي يحدد ذلك مسببات

1- كتاب الهوية والعنف – تأليف امارتيا صن – ترجمة سحر توفيق-

سلسلة عالم المعرفة – الكويت - ص74

الضعف في النفس البشرية ، فكلما كانت مسببات
قاهرة ، تعذرت وسائل معالجتها بالكيفية التي تعود
فيه نسبة الطاقة الإيجابية بالإزدياد في مجرى النفس،
فإن الشخص يتأرجح بين الرغبة في الوصول الى
حالة التوازن ، وبين الإضطراب القسري الى حالة
الإضطراب ، يأتي العامل الإقتصادي ليكون محوراً
مهماً في معادلة توازن واضطراب الشخصية ، ومن
واجبات الحكومات تأمين سبل الابتعاد بالناس عن
مسببات الإضطراب والقلق النفسي ، وعندما تقصّر
الحكومات في عملها ، تظهر اعراض تلك
الضغوطات ، وما نشهده في مجتمعنا من مشاكل
اجتماعية كثيرة ، إلا مؤشر مقلق يتعلق بطبيعة حياة
كثير من الناس ، لذا كان من صميم الحس الثقافي

المسؤول والشعور الديني المتواصل ، العمل على مساعدة الناس بتفعيل العمل بمشروع الاصلاح الحسيني في كل مجالات الحياة اليومية ليغدو الاصلاح جزءاً من السلوك الحياتي اليومي للفرد ، وجزءاً من التفكير المتواصل.

لا نستطيع الجزم بأن الإنسان يستطيع ان يكون على صورة واحدة لا تقبل المراجعة ، او التغيير ، فما بين تأثيرات الظروف ، ومناخات النمو المعرفي ، وبين ادراكه انه ذات ، وليس موضوعاً ، سيتمكن حينها من اكتشاف هويته من خلال تجاربه الحياتية ورصيده الثقافي وموروثه الحضاري ومن خبرات الآخرين وتجاربه من معاصرين ومن سلف . يفشل كثير من الناس في عرض أو فرض هوياتهم الخاصة

على الآخرين ، فيضطرون الى التنازل عنها تشبهاً
بغيرهم . يرى الفيلسوف " هيغل " ان الوعي البشري
محدود بالظرف الاجتماعي الخاص بالبيئة التي
يعيشها الانسان .

من خلال ما سبق ، يبدو لي ان داوعي الحاجة الى
تمكين المجتمع ثقافياً بات ضرورة وحاجة ملحة
يمكننا تحقيقها من خلال نوعين من الجهود:

- جهد ذاتي

- جهد مؤسساتي

الجهد الذاتي: هو ما يقدمه الباحث من دراسات
انثروبولوجية في الثقافة على شكل منشورات ،
ومقالات ، وبحوث ، ودراسات. ونشرها على شكل

مطبوع ورقي ، أو منشور الكتروني ، عبر مواقع التواصل في شبكة الإنترنت ، بما يمكن أن تحدثه تلك الجهود من حركة ثقافية غير ملتزمة بمؤسسة او جهة ثقافية مستقلة كانت أو رسمية .. هي جهود كثيرة يقوم بها عدد غير قليل من كتاب ومفكرين في العالم العربي من خلال محاضرات ثقافية وندوات فكرية وكتب ، او مقاطع صوتية ومقاطع مصورة يتم تقديمها عبر حسابات المثقفين الشخصية في تطبيقات مثل (الفيسبوك والواتساب والتلغرام والانستغرام وغيرها) . يمكن لهذه الجهود الفردية الذاتية ان تسهم في تحريك الواقع ثقافياً وتكوين شبكة تواصل ثقافية عابرة للحدود الجغرافية ، الا انها مهما بلغت من نشاط تبقى جهوداً محدودة الأثر والتأثير

في المجتمع ، فهي قد تنجح في تكوين جماعات ومجاميع الكترونية (كروبات) يتم فيها تداول القضايا المهمة ثقافياً ، لكن نصيب العامة من نتائج هذه النخب الثقافية يكون قليلاً او محدوداً جداً.

الجهد المؤسساتي : يتم هذا الجهد عن طريق ثلاثة انواع من المؤسسات :

- مؤسسة ثقافية مستقلة .
- مؤسسة دينية ثقافية .
- مؤسسة ثقافية رسمية.

المؤسسة الثقافية المستقلة اشارة الى كل مجموعة ثقافية مستقلة تشكلت على اساس العمل الثقافي الهادف. في كل مجتمع عدد لا بأس به من هذه

المجاميع والمنظمات والمراكز الثقافية تضم عشرات أو مئات الأعضاء من مفكرين وكتاب واكاديميين وأدباء وشعراء وفنانين وتربويين . يمكن لإدارة هكذا منظمة او مؤسسة أو مركز ثقافي ، ان تكثف جهودها في حث أعضائها على الإهتمام والإشتغال بالدراسات الإنثروبولوجية في مجالات الثقافة وتنسق مع جهات ثقافية اخرى في داخل البلاد وفي خارجها مستفيدة من قنوات التواصل الالكترونية ومواقع النشر وقنوات البث الالكتروني ، وتعمل على تقديم مادة سهلة تخاطب بها المثقف العربي عموما ، آخذة في نظر الاعتبار تباين مستويات المتلقين ومداركهم وثقافتهم ، من اجل تحقيق اعلى نسبة تفاعل مع مضامين ومنشورات ومحاضرات وبحوث تلك

المؤسسة او ذلك المركز الثقافي ، ويعد هذا النوع من الجهد اكثر حراكاً من الجهد الذاتي ، لكن هناك مشكلة تواجه العمل الجمعي في مجتمعنا العراقي خصوصاً والمجتمع العربي عموماً ، وهي ان المثقف أو الكاتب أو المفكر العراقي أو العربي أقدر على العطاء والإبداع الفردي منه على العطاء والابداع الجماعي لإعتبارات كثيرة يتعلق ابرزها باختلاف الأمزجة والميول النفسية والدوافع الشخصية ، اكثر من الإعتبارات الثقافية ذاتها . لكن اذا وضعنا في حساباتنا اولوية للهدف المرجو من ذلك العمل الجماعي ستسهل كثير من التعقيدات وستتبدد كثير من القيود. لا شك ان هناك كثيراً من النجاحات

تحققت على يد هكذا مؤسسات ثقافية مستقلة في المجالات المحددة التي اشتغلت عليها.

المؤسسة الدينية

في اعتقادي ان المؤسسة الدينية تمتلك قدرة كافية على تبني مشروع نهضة ثقافية في المجتمع تأتي امتداداً لنهضة الإمام الحسين ، بإستقطاب باحثين ومفكرين ودعوتهم وحثهم وتحفيزهم على الإهتمام بالدراسات الإنثروبولوجية في الثقافة ، بما ينتج عنه تقارب ملحوظ عملياً بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية في سبيل تمكين المجتمع ثقافياً ، اعتماداً على الهوية الثقافية للفرد والمجتمع ذات الطابع الديني في العراق وفي المجتمع العربي بشكل عام . يمتاز المجتمع

العراقي عن غيره وجود مراقدة ائمة اهل البيت عليهم السلام وهو وجود يضخ حراكاً متواصلاً يمنح الهوية الثقافية ارتباطاً وثيق الصلة بالدين من خلال العبق الروحي والأثر الديني الذي تحمله كل عتبة من العتبات الدينية ، لذا اعتقد ان المؤسسة الدينية هي الاقدر من بين كل المؤسسات الثقافية على النهوض بمشروع تمكين المجتمع ثقافياً .

المؤسسة الرسمية

اعني بها النشاط الرسمي للثقافة كمؤسسة حكومية. عندما نتحدث عن الثقافة الرسمية فمن الصعب ان نتحاشى ذكر الدولة . وقد ذكرت ان هناك دعوات اظهرها مثقفون هنا وهناك في العالم العربي الى

فصل الدين عن الدولة كحل يخرج المجتمع العربي من حالة التراجع التي يعيشها في القرن الواحد والعشرين . لأسباب ذكرتها آنفاً ، قلت انني لست مع دعوات فصل الدين عن الدولة في المجتمع العربي المعاصر ، لذا مقابل هذه الدعوات ، ادعو الى فصل الثقافة عن سياسة الدولة بحيث تبقى المؤسسة الثقافية الرسمية جزءاً من مؤسسات الدولة ، لكن ليس لها علاقة بسياسات الأنظمة الحاكمة فيه ، وتكون مهمة الثقافة هي تمكين المجتمع ثقافياً ويشرع ذلك بقانون، تحدد له السياقات والأطر التي تحقق هذا الهدف .

هي محاولة قد تنفع في انقاذ هذا الواقع المتراجع الذي بدأ تراجعه يهدّد سلامة استمرار واستقرار الحياة .

اننا بمشروع النهضة الثقافية وبفصل الثقافة عن سياسة الدولة وبالتنسيق مع العتبات الدينية المقدسة ، يمكننا ان نحقق الآتي:

- 1- إحتواء الواقع المضطرب وإعادته الى حالة التوازن وهو أمر ممكن لإرتباطه بإستعداد الناس للتغيير وقدراتها على ذلك ولرفضها التطورات المفاجأة التي تمر بهم .
- 2- نستطيع بمشروع النهضة الثقافية أن نتحكم بالمحتوى الثقافي الذي يتم تداوله عبر مواقع الإنترنت ومنصات التواصل وتطبيقات الذكاء الاصطناعي ، فالتقنية الحديثة موجهة للجميع لا تستثني فئة عمرية ولا مرحلة تعليمية ولا طبقة اجتماعية .

3- نستطيع توظيف التقنية الرقمية المتطورة في تسهيل تداول ثقافة أهل البيت عليهم السلام عبر مناهج حديثة تخاطب في المتلقي ثلاثية العقل والنفس والقلب ، لأننا لاحظنا من خلال البحث الانثروبولوجي ان التقنية الحديثة تخاطب النفس وتعرض لها تحقيق رغباتها وتقدم لها عدّة خيارات تتناغم مع قلّة الصبر وقلّة الخبرة وقلّة الحكمة التي بدت تغلب على كثير من أبناء العصر الجديد .

4- نستطيع إعطاء تصور وافي للمستخدم المسلم بما تنطوي عليه تغيرات الواقع الاجتماعي وتطورات المستقبل ، فمن خلال مشروعنا سنضع علامة الاستفهام: لماذا ؟ وفي مسار البحث عن الجواب

سنمكّن المتلقي من اتخاذ الحيطة والحذر الضرورية التي تمكنه من صناعة وعيه الذاتي للتفكير بما ورائيات هذا التغيير وتأثيره على علاقة المسلم المعاصر بموروثه الاسلامي . فمن المحزن انه لا يزال في المجتمع العربي المعاصر من يستثمر في حاجات الناس وفي ضعف قدراتهم المالية والمعرفية ، فمضى بعضهم في ابتداع قبور وهمية وراحوا يروجون لها على ان اصاحبها من الأولياء والصالحين ، وراحوا يحثون الناس على زيارتها لقضاء حوائجهم.. وروجوا من خلال بعضهم لكرامات صاحب القبر وعلقوا عشرات اللافتات المنسوبة لأشخاص يشكرون الله على ان حلت في مريضهم كرامة صاحب المقام فشفي من مرضه ،

لافتة أخرى يتحدث صاحبها عن مشكلة عصفت به فجاء حلها بعد زيارته المقام ، هكذا شاعت وانتشرت أساليب الخداع هذه في الناس فراحوا يقصدون صاحب المقام ويقدمون النذور والهدايا ، ويجمعون التبرعات المالية لتوسعة المقام وتجهيزه بالخدمات اللائقة . ترى هل تستطيع الأدلة العلمية أن تغيّر إعتقادات الناس ؟ لا يبدو ذلك . خصوصاً عند عوام الناس ممن اكتسبوا إعتقاداتهم بكرامة صاحب القبر الوهمي عن طريق التجربة التي تلازم وقوعها مع مشيئة القدر ، أو من خلال ما سمعوه من أشخاص ثقة تعرّضوا لمشكلة ، كان حلّها متزامناً مع زيارتهم ذلك المقام .. حدثت هذه القناعات عند بعض الناس على الرغم من تصريح رجال دين وباحثين ثقة ،

وعلى الرغم من بيانات أصدرتها مكاتب بعض المراجع الدينية تصرّح بوضوح بأن صاحب ذلك المقام شخصية وهمية لم يثبت لهم وجودها في كتب التاريخ والمصادر المعتبرة .. يقع ذلك لأن الجو العام للمجتمع يشجع على نمو هكذا اعتقادات خاطئة ، والجو العام مرتبط بدرجة أساسية بسياسة البلاد وإدارتها ، فكلما كان مناخ العمل السياسي مضطرباً هشاً ، جاءت جهود إصلاح الواقع صعبة جداً ، فالناس يفهمون ما تراه ابصارهم ، ولا يرون ما تراه بصائرهم . ففي معرض لبيع الأحجار الكريمة في أحد المزارات الدينية خلال العقد الماضي من السنين، وضع العاملون صندوقين يحتويان على بقايا قطع مكسورة من السيراميك المستخدم في تعمیر

المرقد من الداخل. كتب على أحد الصندوقين (سعر القطعة 500 دينار) وعلى الصندوق الآخر (سعر القطعة 1000 دينار) لأن قطع السيراميك في الصندوق الثاني كانت اكبر واكثر انتظاماً. كان الناس يشترون تلك القطع المكسرة للتبرك بها ، كونها كانت في داخل ضريح الإمام !.

في مزار آخر عرضت إدارة المقام أمام الزائرين ، قطع سجاد مهترئة ، عليها ورقة مكتوب فيها ان هذه السجادة كانت في طريق كربلاء وقد داستها أقدام الزائرين ، كان سعرها 100 ألف دينار، وهو ما يعادل ثمن شراء سجادة جديدة ، كما دفعت ازمة الوعي العميق بكثيرين الى التزامهم على خطباء ومعممين من أجل لمس عباءة أحدهم للتبرك .

وحين رأت بعض الجهات الدينية حاجتها الى توسيع نطاق التقائها بمتقنين حفاظاً على بقاء الجو الديني لعلاقتها بجمهورها . اتصلت بأساتذة جامعيين ، ودعتهم الى العمل في انشطتها الثقافية ، فكان أن أقيمت مؤتمرات وندوات ثقافية ومهرجانات تقدم في أغلب الأحيان ما يريده رجل الدين على لسان رجل العلم . يرى عالم النفس الإجتماعي وليم ماكدوكال William Mc Dougall المتوفى عام 1938م ان غريزة الخوف عند الإنسان كان لها دورها في ظهور شعوره الديني .

نقد الكل للكل .

كانت بساطة حياة الناس في السابق لا تظطرهم الى تدوين الملاحظات وتسجيل الأعداد ، فالأفكار بسيطة، وفي الذاكرة ما يكفي لاستيعاب مراحلها وحفظها . أما عندما تغيرت ظروف الحياة وتتنوع سبل العيش، واتسعت الرقعة الجغرافية للمجتمع ، تطورت الأفكار وتعقدت مراحل تنفيذها ، مما احوج الناس الى تدوين ذلك ، فظهر مجتمع ما بعد الكتابة، حيث صار ممكناً نسج القصص الطويلة الأحداث والمتداخلة التفاصيل وإعادة سردها بعد فترة من الزمن فتكفلت إضافة الى الذاكرة البشرية ، وسائل جديدة كالواح الطين ، وورق نبات البردي .

أسهمت الكتابة في حفظ الأموال والأموال والعهد والمواثيق والحقوق والتعليمات والضوابط ، فوضعت الخطوات اللازمة لتحقيق وإجراء حسابات معينة ، وحل المشاكل ، واتخاذ القرارات.. بمرور الوقت تحولت تلك المدونات الى مصادر تاريخية توفر للباحث المعاصر امكانية الإطلاع على طبيعة حياة السلف .

الكتابة هي صلة الربط بيننا وبين ماضي الأجيال السابقة من حيث معرفتنا بطبيعة حياتهم ، فكتب التاريخ والمدونات والمراسلات والوثائق هي مصادرها اليوم التي نتواصل من خلالها بالماضي . قد تتباين هذه المصادر حول طبيعة حياة تلك المجتمعات ، خصوصاً عندما سمحت السلطة لنفسها

برواية التاريخ وسرد احداثه وتدوينها بقوة السيف بما يتوافق مع سياساتها ، حكيمة كانت أم عقيمة .
يضاف الى ذلك استغلال بعض الكتاب لهذا التوجه في السلطة ، فكتب بعضهم من اجل كسب ود السلطان والظفر بعطاياه المالية المجزية ، ملبياً ما في نفس الحاكم من هوى ، فوقع التلفيق والنفاق والتزوير والتلاعب ببعض الحقائق . وقد تختلف جرّاء ذلك ، قراءتنا المعاصرة لتلك المصادر ، لكن ما ينبغي ان يكون عاملاً مشتركاً لدى الجميع ، هو ان تكون لغة الإنسانية هي اللغة المعتمدة في قراءة تلك المصادر وليس قراءة المدرسة التي ينتمي اليها الباحث المعاصر . نحتاج هنا ان نؤشر ان العرب ولظروف معينة واعتقادات معينة ، قد أوقعوا أنفسهم

في مسألة قدسية المصادر القديمة ، فعرضوا
حاضرهم الى الجمود ، وأصابوه بالعقم ، إذ صار
حاضرهم ماضٍ متجدد ، وتحول الناس فيه الى نسّاخ
لاحداث ذلك الماضي على وفق ما دونته الكتابة عنهم
في ذلك الوقت ، ولما تقاطعت كثير من المفاهيم
والممارسات القديمة مع تطور العلم وآفاق التفكير
ووسائل البحث عند الناس في العصر الحديث
وعصر التقنية ، اتهم بعضهم ذلك الماضي وأدانوه
بتعطيله نهضة حاضرهم ، فوجّه الكل انتقاداته للكل،
وصار كل فريق يلقي باللائمة على الآخر . سلطة
المجتمع تتهم سلطة القانون بابتعادها عن الدين ،
وسلطة الدين تتهم المجتمع بعدم التزامه ، وسلطة
المجتمع تتهم سلطة الدين بعدم قدرتها على مواكبة

متطلبات العصر وتلبية احتياجات الناس الى الصدق والثقة ، فصار المسجد لا يقصد للعبادة بقدر ما يقصد لطلب السكينة والهدوء بسبب الشعور بالضياع وغياب الروح في عصر ما بعد الحداثة ودخول الآلة على خط الإتصال بتفاصيل الحياة اليومية للفرد . وصار الإستماع الى القرآن ضرورة تفرضها مجالس الحزن والعزاء التي تقام على وفاة احد افراد الأسرة او الأقرباء والاصدقاء ، كما هو حال الإستماع الى أغاني ال (دي - جي) في حفلات الزواج والتخرج ، هكذا تباعد كثير من تفاصيل الحياة عن العقل وتقرب من العاطفة والعرف السائد ..

استنتاجات

1- دعوة المؤسسة الدينية الى اعطاء حضور الكتاب الورقي مساحة كبيرة في طريق الزائرين بتوفير مكتبات كثيرة. فمن مقتضيات نجاح مشروعنا في تمكين المجتمع ثقافياً ان لا يبقى مكان سوق الكتب في النجف الأشرف (سوق الحويش) في الجانب الخلفي للمحلات التجارية في شارع الرسول ، والعتبة العلوية بمقدورها تأسيس صف من المكتبات الى جانب محلات بيع الأطعمة واجهزة الموبايل ، ولطالما قلنا ان الاصلاح هو تغيير تدريجي لذا وجب ان تضطلع المؤسسة الدينية بهذه المهمة .

كذلك في كربلاء المقدسة ، من المهم جداً ان يكون بين الحرمين صف من المكتبات التي توفر مختلف انواع الكتب وبأسعار مدعومة جداً والمؤسسة الدينية تمتلك مطبعة كبيرة يمكن تسخيرها لهذا الغرض .

2- تشكيل لجان ثقافية منتخبة من قبل ادارات العتبات الدينية المقدسة تتولى مهام العمل على التفكير بطرق حديثة تواكب ظروف العصر تشجع الزائر على اقتناء الكتاب وقراءته ، كأن يصار الى مكافآت وجوائز ومسابقات محورها هموم الناس وقضاياهم الاجتماعية وكيف ينجحون في معالجتها من خلال فهم ثقافة اهل البيت عليهم السلام ونظرتهم الى الحياة ومعناها في سيرهم وفي آثارهم ، على ان لا يقف ذلك

الدور عند جانب الوعظ والإرشاد والسرد الديني للحدث وللقول المأثور ، بل على أن يوظف منهج البحث العلمي الميداني في إستقصاء الحدث الإجتماعي والوقوف على معاناة الزائر ومشاكله الشخصية والأسرية والمجتمعية .

3- التركيز على أهمية التفكير والإبداع وتوفير أجواء تحفز على ذلك وتجعل من التفكير عملية حياتية يومية ومن الإبداع صفة إنسانية لكي لا تستسلم الأجيال القادمة لتطبيقات الذكاء الإصطناعي التي مثلما هي تنتج تقنيات تخدم ، فإنها تنتج تقنيات تهدم .

4- العمل على اصدار كتيبات ومنشورات تعنى المؤسسة الدينية بإيصالها الى الناس مجاناً عبر

وكلائها في كل مكان ، يقوم خَدَمَة المساجد والحسينيات بتوصيل تلك المطبوعات الى الأسر في ظروف مكتوب أو مطبوع عليها : هدية العتبة الى أسرة السيد فلان ، ففي ذلك اعتبار معنوي ونفسي سيترك اثره الإيجابي في نفس الفرد والأسرة وسيحفزهم على التفاعل الثقافي الواعي، ومن شأن هكذا حراك ان يفعل توسيع قاعدة تمكين المجتمع ثقافياً.

5- اننا معنيون بحكم دورنا الثقافي بالإهتمام بواقعنا واصلاحه إنطلاقاً من نهضة الإمام الحسين عليه السلام ، وهذا يحملنا على التفكير بكل ما يمكنه أن يسهم في إنجاح مشروع تمكين المجتمع ثقافياً، فالمسجد مثلاً كان نقطة التقاء الدين بالدنيا على

عهد النبي القائد ، ثم انحسر دوره على العبادات والطقوس الدينية عندما اتسعت الدولة وصارت لها مرافقها المتعددة ومؤسساتها المتخصصة . لذا علينا ان نعطي للمسجد والجامع والحسينية دورها الاجتماعي من خلال إقامة دورات مجانية في التربية والتعليم والثقيف ، على ان لا تكون دورات دينية بحتة ، بل ينبغي لها ان تكون دورات ثقافية في إطار الدين ، وهذا يستلزم من القائمين على هكذا نشاط ان يكونوا واعين لحاجة المجتمع الى دورات ثقافية في علم النفس ، ودورات في الاقتصاد المنزلي ، ودورات في طرق التفكير ، ودورات في تعلم فنون المعرفة ، بحيث تركز هذه الدورات على نقطتين اساسيتين

هما الابداع والانسانية مستلهمين من عطاءات المدرسة المحمدية الدروس والنتائج التي تفيد في تقريب الرؤى وتوضيح معالم الطريق ، لكي لا يجد المسلم المعاصر ان علاقته بالدين تحددها مواقيت الصلاة والطقوس والعبادات فقط .

6- . لكي لا يقع المسلم ضحية خداع التكنولوجيا الرقمية الذكية ، ولكي لا تبدو الزيارة له سوى مناسبة يعبر فيها بالبكاء عن شعور كامن فيه بالضياح والغربة والضعف وربما الذنب والتقصير . وعن الحاجة الى العودة الى الماضي أو الحاجة الى الحياة الطيبة بوجود الإمام . لذا نوصي بتوفير فرص مناسبة لتوظيف علاقة المسلم بالتقنية الذكية في ما من شأنه ان يقوّي

علاقته بدينه من حيث تصبح لديه قوة ذاتية كافية تحمله على معرفة ما حوله ، وعلى تطوير ثقافته تطويراً لا يشعر معه بالتغريب الثقافي .. الامر بحاجة الى اهتمام عميق ، والعتبات الدينية في جانب انشطتها الثقافية قادرة في تصوري على الاضطلاع بهذا الدور المهم والضروري .

7- توسيع علاقة العلم بالدين من خلال دعوة العتبات الدينية المقدسة الباحثين والمثقفين عموماً في شتى المجالات الى ندوات ومحاضرات ومؤتمرات لا تقتصر على النخب الثقافية وحسب، بل تتعداهم الى الثقافة الشعبية لعموم الزائرين ، من اجل تقليل المسافات وتقريبها بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية ، فمن شأن هذه

الخطوة ان تسهم في توسيع مساحة انتشار الثقافة في المجتمع بحيث تغدو تدريجياً قوة قادرة على فرض حضورها في المجتمع وقادرة من خلال العمل الجماعي من ان تصنع قراراً يحفظ للفرد والمجتمع مصيره من ان تصادره القوى السياسية والانظمة العالمية التي اخذت تستثمر في كل شيء حتى في الثقافة والدين.

8- تشجيع الشباب على التعبير عن مواقفهم وعواطفهم بدعوتهم الى مؤتمرات شعبية تتيح للشباب ان يقدم ورقة عمل بسيطة يشرح فيها رأيه في مشكلة اجتماعية أو ظاهرة سلوكية أو ثقافة معرفية أمام عدد من الحضور الذين سيناقشونه فيما قدمه . تسهم هذه الخطوة في تحفيز التفكير

والكتابة في حياة الشباب وهما مدخلان مهمان
من مداخل تمكين المجتمع ثقافياً .

9- الحث على تكوين قاعدة عمل جماعي متينة في
المجتمع من خلال تشجيع ما يقوم به الشباب
وابناء المجتمع من أعمال تنطلق من حب الحياة،
ووعي الإنسانية ، وفهم ثقافة الدين. كأن تبتكر
الجهات الثقافية في العتبات الدينية المقدسة افكاراً
تشد ابناء المجتمع اليها، تربي فيهم روح العمل
الجماعي ، وتدريبهم عليها ، على سبيل المثال لا
الحصر ، دعوة الشباب الى حملة موسعة لتنظيف
مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف بمشاركة
نخبة من المعممين والمتقنين . أو دعوة الشباب
الى زيارة قبور علماء ومفكرين وادباء ، قدماء

ومحدثين والوقوف على احتياجات قبورهم الى الخدمة والترميم والصيانة وتعريف المجتمع بهم. بهذا خطوة ومثيلاتها سيشهد المجتمع بعد عقد من السنين وجود طبقة اجتماعية قادرة على توجيه نفسها وتوجيه المجتمع وحمايته والحفاظ عليه من الانحراف أو الإنجراف وراء إغراءات الشاشات الملونة ، والمعلومات البراقة ، والطروحات الجذابة التي قد تضمّر نوايا غير ايجابية لا يكتشف أمرها الا بعد وقوع خسائر في ثقافة الفرد والمجتمع.

10- تنمية روح الحس الثقافي المسؤول في الفرد وتخليصه من الاتكالية والاعتمادية على الغير كما يحصل في مجتمعنا ، فقد دأب الناس على ان

تكون الاعمال الكبيرة من مهام الجهات المسؤولة والحكومات ، وهو انطباع يجب تغييره بحيث يكتسب الفرد شعوراً ذاتياً بوعي التغيير والاصلاح عملاً بقول الإمام الحسين عليه السلام (مثلي لا يبايع مثله) لتأتي كلمة " مثلي " مفتاحاً يدخل به الفرد الى وعي المسؤولية الثقافية ، فيعمل على تغيير ظروف واقعه وتطوير حياته على وفق ما جاد به اهل بيت النبوة عليهم السلام، تأتي هذه الخطوة في سبيل تحرير الفرد المعاصر من فكرة (لا املك حيلة) و (ليس بوسعي فعل شيء) و (انا وحدي لا اقدر على شيء)، ويتحقق هذا الامر من خلال اعادة انتاج شخصيات تحاكي شخصيات تاريخية عظيمة مثل (ميثم التمار)

و(سعيد بن جبير) وغيرهم ممن نذكرهم اليوم
ونتمناهم في حياتنا ، فمن خلال هذا المشروع
تنشط صناعة الوعي لتنتج اشخاصاً في عصرنا
الحالي بعظمة اولئك الكبار في تاريخنا
الإسلامي.

11- حث الأوساط الثقافية المستقلة على إقامة
مواكب نعي ووعي ثقافية في مسيرة الأربعين ،
تتولى مهام إظهار البعد الإنساني في ثقافة المنهج
المحمدي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
وتوظيف ذلك البعد في حل مشاكل العصر
وإحتياجات الناس عبر الدراسة العلمية العملية
للانثروبولوجيا ، بحيث يتم انشاء مراكز توجيه
ميدانية تتناول خطأ من الخطوط الكثيرة المهمة

في حياة كل شخص بحيث يتم تطوير ذلك الخط في مسار النهضة والاصلاح فيبدأ الشخص بذاته، ثم يتطور الأمر ليشمل اغلب ابناء المجتمع .

12- ادعو الى ان تكون للثقافة العربية الاسلامية

خطة مستقبلية ، مثلما هناك خطط مستقبلية في مجالات العلم والاقتصاد وغيرها، وفي مشروع نهضتنا الثقافية يمكن البدء بتكوين جهاز حماية لثقافتنا وتراثنا من الفيروسات الاصطناعية الذكية التي يمكنها ان تضر بهذه المنظومة التاريخية الادبية الاسلامية . ففي مجتمعنا نخبة كبيرة من المثقفين والمفكرين والكتاب في كل المجالات يمكن الاعتماد عليهم في اعداد خطة مستقبلية للثقافة يتم فيها اعداد مناهج عملية تنفذ

في السنوات القادمة قائمة على وعي الواقع وإدراك التحديات وفهم الاحتياجات . منها مثلاً ما هو نمط البحوث التي ستناقشها ثقافة المرحلة القادمة . ما نوع الحاجة الثقافية التي يقتضيها نجاح التعليم في المدارس الحكومية لكي نتحاشى الاقتصار على تزويد الطالب بالمعرفة دون الثقافة كما هو حاصل ، فمن متطلبات تمكين المجتمع ثقافياً ان تكون العملية التعليمية قائمة على هدف انتاج جيل يعي هويته الثقافية ويعي معنى ذلك اجتماعياً. إذ لا تكتسب الحياة طعمها الحلو ولا تعود طيبة ما لم يرافق ذلك منظومة سلوكية ، اخلاقية ، انسانية ، عاطفية ، عقلية متوازنة في ذات الفرد والمجتمع .

الخاتمة

في القرن الواحد والعشرين ، حيث التطور التقني المتسارع ومشاريع الذكاء الاصطناعي ، لا تذكر الحياة إلا وتذكر معها المشاكل والمشاكل ، المال والاعمال ، العمل والإهمال ، القلق والأرق ، وانحسرت تلك المساحة التي تبدو فيها الحياة حلوة خضرة كما في الحديث النبوي الشريف ، وطيبة كما في سيرة اهل بيت النبوة . سبب ذلك في اعتقادي يعود الى ان جانباً أو اكثر من جوانب حياتنا لم تعد تعمل بشكل طبيعي ، ففي عصر الآلات الذكية واجهزة التقنية الرقمية ، تطورت الحياة لكن الحاجة الى المال ازدادت ايضاً في وقت قلت فيه فرص الحصول عليه ضمن السياق الطبيعي لحركة الحياة،

فقد ازداد الطلب على الغذاء والماء والطاقة وفرص العمل ، وظهرت حالات من التعب النفسي ومن امراض النفس وحالات الانتحار والتمزق الاسري وتششت التفكير وقلة التركيز وضعف الهوية الثقافية وضياعها في حياة بعضهم ، واختراق الخصوصية، وانتشار اللصوصية الرقمية والخروقات الامنية والابتزاز الالكتروني وتقنية التزييف العميق ، وحيل الذكاء الاصطناعي ، وفقدان الثقة ، وغياب الأمان . لذا تبدو الحياة مختلفة ، ففي السابق كانت الحياة تبدو جميلة على الرغم من متاعبها ، لكنها اليوم تبدو مفتعلة ، ربما لأنها لبست ثياباً جديدة لم تعتد مشاهدته العيان ، فالحياة اليوم تبدو كوجود سائل تتحرك فيه الكائنات الحية ، على وفق قدراتها على مواصلة

السباحة في ها السائل من حيث هي قدرات مادية ،
ربما لا مكان فيها للروح . الروح هنا لا نعني بها
بالضرورة معنى الدين ، فقد نذهب الى ان الحديث
عن الروح هو حديث عن النفس وعن الذات وعن
الشخصية ، ونحن نعيش مشكلة في هذا الجانب ،
فقد اصيب مفهوم الحياة بشيء من الضرر او التلف
تسببت فيه سرعة تفوق الآلة الذكية على التفكير
الطبيعي ، وضعف تطور ثقافة الهوية الشخصية عن
مواكبة ذلك التسارع العلمي والتقني . اننا بحكم
الانفتاح العالمي عبر شبكة الانترنت ومواقع
التواصل صرنا نبحت وناقش قضايا عالمية ونعطي
آراءنا ، وندون ملاحظتنا ، ومن المهم ان ننتبه الى
اننا نقوم بذلك بالقدر الجزئي الذي نمتلكه من الوعي

والمعرفة والتدبر ، هنا يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان وجهة النظر الجزئية هذه قد لا تعطي تصوراً كافياً لمشكلة أو حادثة أو ظاهرة عالمية . هذا يقودنا الى احتمال ان تتسبب آراؤنا النسبية أو الجزئية ، والحلول التي نقدمها ، في ايجاد مشاكل جديدة ، إذ ان الإحاطة العالمية تقتضي معرفة واسعة ووعياً عميقاً ، وهذين العنصرين : المعرفة الواسعة والوعي العميق. يشترط تحققها وجود توازن في جوانب الشخصية العقلية والنفسية والسلوكية والعاطفية ، ولا يصل الانسان الى حالة التوازن هذه الا بعد المصالحة مع النفس ، وهذه المصالحة يحققها الاتصال الآمن بالنفس عبر قنوات البث الايجابية للوعي والصلاح ، فكلما حظيت النفس بجبرعات

عالية من تكنولوجيا المعرفة الايجابية ، كلما كانت الى
الصالح اقرب منها الى الفساد.

المصادر

- القرآن الكريم
- تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب
- الهوية والعنف – امارتيا – ترجمة سحر توفيق
- الدين والتحليل النفسي – ايريك فروم – ترجمة فؤاد كامل

المحتوى

1 مقدمة

الفصل الأول

إنثروبولوجيا واقعة الطف

6 الإنثروبولوجيا

9..... واقعة الطف

11 ما حاجتنا الى النهضة الثقافية

هل تسهم زيارة الاربعين في قيام نهضة ثقافية معاصرة

14

21 مشاهدات واقعية

26 توصيات

الفصل الثاني

النهضة الحسينية وضرورة صناعة الوعي

- 36 مفهوم الثقافة
- 37 التغيير والثبات
- 38 بين النهضة والثورة
- 44 ثمار الوعي الاولى
- 47 كيف تتم صناعة الوعي
- 50 دور الحب في صناعة الوعي
- 53 التقنية الرقمية كمصدر للمعلومات
- 55 الحسين عليه السلام بين الامس واليوم
- 57 الفهم المعاصر للسلطة
- 60 الحاجة الى التجديد في الخطاب الديني
- 61 بين المجلس الحسيني والمجلس الثقافي

62	الثقافة والوعي
65	رسالتنا الثقافية

الفصل الثالث

الدين وتغير المجتمع في القرن الواحد والعشرين

68	تغير المجتمع
74	الرغبة في التغيير
76	الحلم الواعي
82	الإيمان والوعي
84	الهوية والخصوصية
90	تأثير التقنية الكية في علاقة المجتمع بالدين
93	ميزان القوى
96	بماذا يختلف القرن الواحد والعشرين عن غيره

الثقافة وإنتاج اللامعنى	99
من سيكتب تاريخ الطف في مستقبل الذكاء	
الاصطناعي	102
الإيمان والتقنية الرقمية	110
ما معنى الحياة في عصر الآلة الذكية	117
من الوحي الى الوعي	120
النسبية الثقافية	122

الفصل الرابع

المجتمع والشعائر الحسينية

الهوية الدينية للمجتمع	134
بين علم الإجتماع وعلم الانثروبولوجيا	136
حرية التعبير وحرية التفكير	137

140	هل تراجع دور المجتمع
142	تأثير اللغة في الحياة الاجتماعية
145	دعوات إحلال اللهجة العامية محل اللغة الأم... ..
	دور مراقدة أئمة أهل البيت عليهم السلام في نهضة
152	المجتمع
156	اثر الوضع الاقتصادي في هوية الفرد والمجتمع
170	كلمات وافكار
175	كيف نقرأ أحداث الماضي بلغة العصر.....
216	نقد الكل لكل
221	استنتاجات
235	الخاتمة